المتخلفون مليارا مسلم

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للتحقيق والنشر
بيروت ـ لبنان ص.ب: ٥٥٧٠ / ١٣ شوران

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

التخلّف: عنوان كبير، وله معنى شاسع وواسع، وهو وصمة عار على المتصفين به في جميع الأمم . قديماً وحديثاً . وفي جميع بقاع العالم، وله طعم خاص وحرقة خاصة في حلوق الغيارى على أممهم وشعوبهم...

وهذا شأن أصحاب الرسالات، والمصلحين عبر التاريخ، ولذلك كان أوائل المحاربين للتخلّف هم الأنبياء العظام عليهم السلام لا سيما أولي العزم عليهم السلام أصحاب الرسالات الشاملة والعامة لبني البشر وكان أشدهم هو آخرهم وسيدهم الرسول الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله .

الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿**عزيز عليه ما عنتم..**﴾ وكذلك بقوله تعالى: ﴿**يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم..**﴾.

وهل يوجد أغلال أكبر وأقسى من الجهل والتخلّف وتوابعه ولواحقه والنتائج التي يمكن أن تلحق بأمة اتصفت به..

والتاريخ يشهد على مدى الجهود التي بذلها عملاق الإنسانية ورسول الله صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام في سبيل ترسيخ مبادئ رسالات السماء وتطبيق قوانين الخالق بين الخلق وعلى أرض الواقع، حتى ذهب كل أئمتنا الكرام عليهم السلام وحتى أمهم فاطمة الزهراء عليها السلام فداء لهذه الرسالة الخاتمة.

وهذا هو دأب العلماء الأعلام من هذه الأمة المرحومة يعملون في هذا السبيل القويم، وهذا الطريق السوي والنهج المبارك لأمة الإسلام الحقّة..

وسماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي . دامت بركاته . هو من المراجع الكبار الذين تحسسوا أمراض هذه الأمة المترامية الأطراف وذات العدد الهائل الذي يشكل ثلث المعمورة.. فألّف وكتب العشرات بل المئات من الكتب التوعوية لجميع طبقات الأمة..

وهو . دام ظله . في هذا الكتاب (المتخلفون مليارا مسلم) هو عبارة عن صرخة (لإيقاظ المسلمين الذين تخلفوا عن ركب التقدّم) كما يقول في المقدمة، وفي هذه الصرخة يصف لنا بعض أسباب التقدم في الأمس البعيد، وما يضادها من أسباب تخلفهم في الوقت الحاضر..

فكان من أسباب تقدم المسلمين: الوعي، والوحدة، والأخوّة، والحريات، وتطبيق قوانين السماء، وأوامر وتعاليم القرآن الكريم والرسول العظيمﷺ، وتأخر المسلمون عندما تركوا هذه الأسباب الداعية إلى التقدم والرقي.

ويضرب مثالاً واقعياً عن تقدم اليابان المذهل، وتأخر العراق المذري، ويختم سماحته الكتاب بخاتمة لطيفة هي (الأشياء تعرف بالأمثال والأضداد) فإذا عرفنا السبب . في تخلف المسلمين . بطل العجب عن تأخرهم..

ومركز الرسول الأعظمﷺ يفتخر شرفاً بأن يهيئ هذا الكتاب ليطبع وينتشر في أوساط المسلمين راجياً من الله العلي القدير اليقظة لهذه الأمة المرحومة ونهضتها من غفوتها من أجل بناء مجدها القديم، وعزها وخطها القويم.. إنه سميع قريب مجيب.. والحمد لله رب العالمين.

مركز الرسول الأعظم ﷺ للتحقيق والنشر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد، هذا الكتاب الذي بين يديك: (المتخلِّفون ملياراً مسلم) كتبته وسمّيته بهذا الاسم لأجل إيقاظ المسلمين الذين تخلّفوا ـ على كثرتهم وعددهم الكبير البالغ ملياري نسمة ـ عن ركب التقدّم العلمي الحديث والسياسي المعاصر، حتى يستيقظوا عن رقدتهم، ويعالجوا تخلّفهم في هذا المجال، ويعودوا إلى حالتهم السابقة التي كانوا فيها يوماً من الأيام خير الأمم وأعظمها كما قال الله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أُخرجت للناس**﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: (الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه)[2].

فإن المسلمين على كثرتهم اليوم إذا عالجوا تخلّفهم حسب الموازين الإسلامية، أصبحوا كما كانوا بالأمس آباء العلم الحديث، وساسة العالم المعاصر، وخرجوا من ذلّ التخلف والتأخر.

علماً بأن الحالات التي تعتري الإنسان والمجتمع، وتطرأ على الشعوب والأمم، هي ثلاثة أقسام: التساوي، والتأخر، والتقدم، والحاصل عند المسلمين اليوم هو: التأخر، ولكن الذي ينبغي لهم هو: التقدم المستلزم لعزّتهم وسؤددهم، وذلك لا يمكن إلاّ بأسباب وموازين، فإن الله قد جعل الدنيا دار موازين وأسباب، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه كراراً: ﴿**ثم أتبع سبباً**﴾[3] وقال عزّ وجل: ﴿**من كل شيء موزون**﴾[4] وبدون السبب لا يحصل المسبّب، فإنه

---

[1] سورة آل عمران: ١١٠.

[2] مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١٤٢ ب١ ح٢٠٩٨٥.

[3] سورة الكهف: ٨٩ و٩٢.

بدون النار . مثلاً . لا يحصل الإحراق والاحتراق، إلاّ إذا كان إعجازاً غيبياً كما حصل لإبراهيم الخليل عليه السلام، حيث جعلت النار عليه برداً وسلاماً.

فإلى تطبيق الأسباب التالية، حسب الموازين الإسلامية الراقية، للحصول على المسبّبات المرضية لله ولرسوله وللأئمة الميامين من أهل بيت رسوله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من تقدّم ورقي، وعز وسؤدد، وفوز وفلاح في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

١٤٢٠هـ

---

(٤) سورة الحجر: ١٩.

(١)

الوعي.. أول أسباب العزّة

أول أسباب التقدم المستلزم للعزّة هو: وعي الأمة الإسلامية نفسها وما يجري حولها، حتى يحسّ المليارا مسلم بأنهم أصبحوا بالنسبة إلى الأمم الأخرى متخلفين، وصاروا على أثره لهم منقادين، ويدركوا ذلك من أعماقهم، وعن قرارة أنفسهم، فإنه لا يمكن التقدم في شيء من مجالات الحياة، إلى مقبض الزمام إلاّ بالوعي، علماً بأن الوعي له أسباب ثقافية مادية، بغضّ النظر عن الأسباب المعنوية الروحية، فإن المسلمين على كثرة عددهم قد تأخروا في كلا المجالين: المادي والمعنوي، فليس لهم ثقافة مادية تؤهلهم للتقدم، كما ليس لهم معنويات تدفعهم من الداخل إلى الأمام، وإليك مثالاً مقارنة في مجال التأليف والنشر على ذلك.

مقايسة في شأن الكتاب والمطالعة

يُقال: إن العرب هم وحدهم ثلاثمائة مليون نسمة تقريباً، وذلك حسب بعض الإحصاءات الأخيرة، بينما نفوس إسرائيل أربعة ملايين ونصف المليون نسمة فقط، فالنسبة بينهما كبيرة جداً، ولكن مع وجود هذا الفرق النسبي الكبير بينهما، قد ذكرت الصحف العالمية المعنية بشأن الكتاب، إن في السنة الماضية ـ أي: سنة ثمان وتسعين ميلادية ـ كتبت إسرائيل وحدها أربعة آلاف وخمسمائة كتاب، يعني: لكل ألف إنسان إسرائيلي كتاب واحد، بينما العرب بما فيهم لبنان ومصر، كتبوا في نفس تلك السنة: ستة آلاف كتاب فقط، يعني: لكل خمسمائة ألف إنسان عربي، كتاب واحد، مما يذكّر بقول القائل:

(هذه من تخلفاتهم شطحات) (وعلى هذه فقس ما سواها).

وإذا كان هذا هو حال العرب وهم مثقفوا الأمة الإسلامية، فكيف يكون حال المسلمين الآخرين كمسلمي اندونيسيا وبنغلادش وباكستان ومن أشبههم الذين هم أكثر تخلّفاً وتأخراً؟.

وقد قرأت في صحيفة معنيّة بشأن الكتاب أيضاً نصاً يقول: إن البلد الفلاني المسلم

الذي يبلغ نفوسه ستين مليون نسمة، يطالع كل واحد منهم في كل يوم زماناً قدره ثلاث ثوان فقط، بينما يقول النص نفسه: إن اليابانيين يطالع كل واحد منهم في كل يوم زماناً قدره أربع ساعات تقريباً.

فإذا كان هذا هو حال المسلمين بالنسبة إلى ثقافة الكتاب والمطالعة، فكيف يكون حالهم بالنسبة إلى ثقافة الكمبيوتر والانترنيت، وما أشبههما من شبكات الوعي الدولية، والارتباطات العالمية؟. والغريب في الأمر أن الكتاب لا زال في بعض البلاد الإسلامية ممنوعاً حتى يومنا هذا، فترى في بعض البلاد العربية وكذلك في بعض البلاد الإسلامية غير العربية أيضاً، الكتاب إلى جانب المخدرات والسلاح من الممنوعات عندهم، حيث إنا نقرأ ونسمع كل يوم بأن أشخاصاً في تلك البلاد قد أخذوا وسجنوا لأنه وجد عندهم كتاب معين، أو لأنه قام بطبع أو نشر كتاب خاص!

وجديداً سمعت أن في بلد عربي إسلامي قد سجنوا إنساناً سجناً غير محدود، مما أقلّه ثلاث سنوات بجريمة: أنه احتوى على كتاب واحد لأحد المؤلفين الذين منعت حكومة ذلك البلد اقتناء كتبه.

بلاء الرقابة

هذا وفي كثير من البلاد الإسلامية، عربية وغير عربية، ترى الرقابة فيها مفروضة بشدة على الكتب والمطبوعات وبشكل غريب مما لم ينزل به من سلطان، وإني كنت في العراق وقد قدّم بعض الأصدقاء إلى الرقابة كتاباً في علم الهيئة والنجوم وكانت من سلسلة تصدر كل شهر مرة، فرفض الرقيب ـ وهو الموظف الذي كان معدّاً لفحص الكتب وإجازتها ـ بأن يمنح الكتاب إجازة الصدور، وذلك بحجة أنه من أين علم هذا المؤلف أن الهيئة والنجوم تكون كذا وكذا؟ فهل هو سافر إلى السماء واطلع على الهيئة والنجوم فيه، أم نزل عليه الوحي بذلك؟ وأمثال هذه الحجج الواهية، وأخيراً منع الكتاب من الصدور منعاً شديداً وباتاً، ولم ينفعه الاستدلال وإقامة الحجة بأن علم الهيئة والنجوم الذي يبحث الكتاب عنه إنما هو حسب موازين علمية كان القدماء يقولون بها، والعلماء الجدد يقولون بها أيضاً، وإن منتهى الأمر أن القدماء كانوا يقولون بأن الشمس تدور حول الأرض الثابتة، بينما العلماء الجدد يقولون: بأن الأرض تدور حول الشمس الثابتة تقريباً، لكن كل ذلك لم ينفع في السماح

بصدور الكتاب، وإنما بقي محصوراً في سجن الرقابة ولم يخرج إلى عالم النور!!.

الرقابة في الحكومات الجائرة

وإني بنفسي منذ الانقلاب العسكري الذي قام به قاسم ـ وبأمر من أسياده ـ في العراق، أصبحت في قائمة الذين منعت الحكومة طبع كتبهم، إلاّ مع رقابة شديدة، فإن الرقابة في زمان قاسم كانت متشددة بحيث لا تجيز حتى طبع مثل تفسير: (تقريب القرآن إلى الأذهان)[٥].

والذي يزيد الطين بلة إنا جئنا بهذا التفسير نفسه إلى بلد إسلامي يدّعي مسؤولوها الإسلام، وطبعناه هناك فصادرت الحكومة المدعية للإسلام كل دوراته المطبوعة، البالغة عدة آلاف كتاب.

كما وقد أحرقت الحكومة نفسها كتاباً آخر لي باسم: (هكذا كانت حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام) فقد طبع منها – بعد إجازة الرقابة المفروضة فيها على الكتاب – عشرة آلاف نسخة، لكن لما عرفت الحكومة بعد إجازة رقابتها بالطبع، بأن هذا الكتاب يضر بما يزعموه ويدعوه من سياستهم الإسلامية – حيث كان الكتاب يوجب وعي المسلمين بالحكم الإسلامي الصحيح الذي طبقه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام – أمروا بمصادرتها وحرقها جميعاً، ومن حسن الحظ أنه كانت باقية عندي النسخة المخطوطة الأصلية، وإلا لذهب الكتاب نهباً وحرقاً[٦].

وقد كان لي مما كتبته أربعة عشر كتاباً في علوم مختلفة وكنت قد جمعتها تهيئة لطبعها في العراق في مجلد واحد، وكانت هي من قبيل:

شرح دعاء السمات، وشرح كتاب نصاب الصبيان، وكتاب في علم الهيئة والنجوم، وكتاب في علم الهندسة وكتاب في علم الحساب، وما أشبه ذلك، فصادرته الحكومة في العراق ولم نظفر بعد ذلك عليها حيث كانت النسخة منحصرة في تلك التي قدمتها للطبع.

---

[٥] وهو تفسير مزجي ومختصر مبسط يفهمه الجميع، ويشتمل على ميزات لم توجد في سائر التفاسير إلاّ نادراً، طبع مرتان (ثلاثون جزءاً في عشرة مجلدات) في بيروت لبنان عام ١٤٠٠هـ، إلاّ الأجزاء الثلاثة الأخيرة (٢٨ و٢٩ و٣٠) حيث طبعت ثلاث مرات كانت أولاها في النجف الأشرف – العراق عامي ١٣٨٥هـ و١٣٨٧هـ.

[٦] الكتاب الذي صودر كان باسم (روش حكومت بيامبر وأمير مؤمنان) بالفارسية، وقد صادرتها السلطات الإيرانية من المطبعة وأحرقتها جميعاً، ثم طبع الكتاب بعد سنوات عديدة في بلد آخر باسم (برتوي از حكومت بيامبر صلى الله عليه وآله وأمير مؤمنان ت).

وحكومة ثالثة صادرت منا كتباً متعددة، وقد كان من بينها (كلمة الله) للأخ الشهيد، إلى غير ذلك مما يطول ذكره[٧].

هذا، ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين الميلادي ونهاية القرن العشرين، القرن الذي اتسعت الحرية في دنيا الغرب، وأخذت منه مأخذاً وسيعاً، وطالت كل مجالات حياتهم.

فلقد حرّضتُ ذات مرة نفرين من أصدقائنا على أن يستقرّا في باريس ويعملا معاً لإخراج مجلة هناك للمسلمين الذين يتواجدون في فرنسا ويبلغ عددهم خمسة ملايين نسمة تقريباً، وذلك حسب الإحصاء الرسمي، فذهبا إلى وكيل وزير الثقافة والإعلام هناك وقالا له إنهما يريدان إجازة إصدار مجلة إسلامية مواصفاتها كذا وكذا..

فضحك وكيل الوزير قائلاً لهما: هل أنتما مسلمان شرقيان؟

قالا: نعم.

قال: إصدار المجلة في بلادنا في حكم دخول السوق واشتراء كيلو من التفاح أو الليمون، حيث أنه يحق لكل إنسان ذلك، والشرط الوحيد لتعامل كل إنسان مع الآخرين هو: أن لا يتعدّى الشخص على الناس ولا يضربهم بالسكين، ولا يهيئ ضد الناس المتفجرات أو يحيك عليهم المؤامرات، وما أشبه ذلك، وكل ما لم يكن من هذا القبيل فهو لا يحتاج إلى إجازة.

وكان هذا نموذجاً من عالم المطبوعات في الغرب.

وإليك نموذجاً منه في بلادنا الإسلامية والعربية:

فلقد كانت لنا في العراق خمسة عشر مجلة، مثل: مجلة الأخلاق والآداب، ومجلة صوت المبلغين، ومجلة أجوبة المسائل الدينية، وغير ذلك من المجلات الأخلاقية والاجتماعية.. وقد ذكرت أساميها كلها في بعض الكتب التي كتبتها في هذا المجال[٨]، فعمدت الحكومة العراقية وبأمر من أسيادها الناقمين على الإسلام والمسلمين إلى إغلاق كل هذه المجلات الخمسة عشر، ومنعها من الصدور.

---

[٧] كما صادرت السلطان الإيرانية في مطار طهران الدولي (مطار مهر آباد) النسخة الخطية لكتاب (كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي وذلك في تاريخ ١٩٩٥/٦/٢٧م، من أحد المشايخ الذي كان الكتاب معه.

[٨] راجع كتاب (عشت في كربلاء) و... للمؤلف.

نماذج من عالم الغرب

والظريف في هذا الأمر أن أسياد هؤلاء الحكام ومسيّرو هذه الحكومات التي تمنع المطبوعات في بلادنا، لهم في بلادهم الحرية الكافية في الطبع والنشر والقوانين لحماية الكتّاب والناشرين، حتى إني أذكر أن في بريطانيا أرادت تاتشر أن تمنع كتاباً يضرّ نشره بالسياسة البريطانية وقواعدها الاستعمارية، فعقدت مجلس الوزراء للبحث في ذلك، والتصويت على منع الكتاب، لكنها لم تفلح في ذلك، ولم تصل إلى نتيجة، وخرج الكتاب إلى الأسواق رغم محاولة رئيسة الحكومة البريطانية من منعه.

كما أن حكومة إسرائيل وهي البلد الآخر المعدود من جملة الأسياد لبعض حكام البلاد الإسلامية، لم تتمكن أن تمنع كتاب: (المحدال) مع أنها دعت الكنيست ومجلس الوزراء وغير ذلك لمنع هذا الكتاب الواحد الذي كتب لأجل الإطاحة بإسرائيل وإراءة أفضل الطرق لمحوها من الوجود، فباءت الحكومة بالفشل، ولم توفَّق لمنع الكتاب، لأن قانون مطبوعاتهم لم يسمح لها بذلك، ورأت أن الطريق الوحيد هو إرضاء المؤلف والقائم بالطبع والنشر بالمال، وإقناعهم بسحب الكتاب من السوق لكن المعنيين بأمر الكتاب لم يرضوا بالسحب ونشروا الكتاب وبيع علناً في إسرائيل.

ثم إن بعض المترجمين الفلسطينيين ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية وانتشرت الترجمة في البلاد الإسلامية والعربية مما يتسنى لكل إنسان اقتناؤه، وقد حصلت أنا على نسخة منها وقرأتها والترجمة هي الآن موجودة في المكتبات العربية وغير العربية.

اليابان وكيفية تقدمها

هذا، وقد التقيت بأحد الأصدقاء التجار الذي كان يمتهن المتاجرة مع اليابان، ويذهب بين فترة وأخرى إليها، وأحياناً كان عمله يتطلّب أن يبقى فيها ثلاثة أشهر، فسألته ذات مرة عن سبب تقدم اليابان هذا التقدم الهائل، مع أن اليابان كانت والى قبل نصف قرن تقريباً . أي بعد الحرب العالمية الثانية، على أثر دمار الحرب وغيرها . من البلاد المتأخرة وكانت البضائع اليابانية في العراق تعدّ من البضائع غير الجيدة وخاصة بالنسبة إلى البضائع الغربية المتقدمة، بحيث كان الناس لا يقبلون عليها ما دام كان يوجد في السوق مشابهاً لها من البضائع الغربية المتطورة.

فأجابني قائلاً: إن لتقدم اليابان أسباباً كثيرة والتي شاهدته منها هو (اهتمامهم الكبير شعباً وحكومة بثقافة الكتاب والمطالعة)[٩]، حتى أنك إذا دخلت اليابان تجد في المطار مكتبة، وفي الحديقة العامة مكتبة، وفي عيادات الأطباء مكتبة، وفي مكاتب المهندسين مكتبة، وفي السيارات مكتبة، وفي الباصات مكتبة، وفي القطارات والباخرات وحتى الطائرات مكتبة، وهكذا.. وإذا دخلت البيت الياباني وجدت في الصالون مكتبة، وفي غرفة الاستقبال مكتبة، وفي غرفة الطعام مكتبة، وفي غرفة المنام مكتبة، وفي غرفة الاجتماع مكتبة، وهكذا في بيت الخلاء والمرافق الصحية أيضاً مكتبة صغيرة حتى إذا أراد الإنسان أن يجلس لقضاء الحاجة بمقدار دقيقة أو دقيقتين، طالع بذلك المقدار من الوقت واغتنم تلك الفرصة.

كما إنك إذا ركبت الطائرة أو الباخرة، أو السيارة أو القطار، وجدت كل إنسان جالس في هذه الوسائل المعدة للنقل والمواصلات مشغولاً بالمطالعة، يعني: أنه قد اغتنم فرصة الركوب لمطالعة كتاب أو مجلة أو جريدة أو ما أشبه ذلك..

العراق وأسباب تأخره

كان ذلك الصديق التاجر يقصُّ عليّ مشاهداته عن اليابان وثقافة اليابانيين ومكتباتهم التي تفوق عدد نفوسهم، فمرّ على خاطري مأساتنا في العراق، حيث أسسنا في كربلاء المقدسة ما يقرب من أربعين مكتبة بدائية للمطالعة في المساجد والمدارس وما أشبه ذلك فقط، فأغلقت الحكومة كل تلك المكتبات وكذلك أغلقت الحكومة العراقية ما أسسناه من مكتبة عامة تفتح أبوابها على الجميع، وكنا قد سمينا تلك المكتبة باسم: مكتبة القرآن الحكيم العامة، لتزويد مكتبات العراق ومختلف البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، والعربية وغير العربية بالكتب والمطبوعات والمعلومات الدينية، والثقافة العامة، فعمدت الحكومة العراقية إلى إغلاق هذه المكتبة: مكتبة الأم العامة وكل تلك المكتبات التي كانت تتجاوز السبعين مكتبة، في كربلاء المقدسة وفي مختلف المدن العراقية، وإضافة إلى إغلاقها صادرت الحكومة كل كتبها وجميع ما فيها!.

هذا هو بعض نماذج محاربة الحكومة العسكرية في العراق للوعي والثقافة.

وكذلك كانت حكومة الملكيين في العراق برئاسة نوري السعيد، فإني أذكر جيداً أن الأخ الشهيد[١٠] (تغمده الله برحمته) كان يصدر آنذاك مجلة باسم: (الأخلاق والآداب) وكان

---

[٩] الذي سموه بثورة (المايجي ايشين) والتي تعني (الثورة الثقافية).

[١٠] هو المفكر الإسلامي الكبير آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (١٣٥٤ - ١٤٠٠هـ) الأخ الأصغر للإمام المؤلف (دام ظله).. وقد كتب مقالات عديدة في مجلة (الأخلاق والآداب) الكربلائية الصادرة منذ عام (١٣٧٧هـ) منها: (زيارة العتبات) و(الإسلام يعالج

مفادها كاسمها متعرّضاً للأخلاق والآداب فحسب، لكن كلمة واحدة منها فقط وقعت مورداً لإشكال حكومة نوري السعيد حيث ادّعت أنها استفزازية، مع أنها لم تكن كلمة سياسية، وإنما كان ادعاء الحكومة ذلك ذريعة إلى إغلاق تلك المجلة الأخلاقية والتوعوية، والحكم بسجن مصدّريها والعاملين فيها، وكانوا ما يقارب من عشرة أشخاص، فحكمت على كل واحد منهم بالسجن ثلاثة أشهر، لكن نوري السعيد نفسه الذي أصدرت حكومته هذا القرار وحكمت على مصدّري مجلة الأخلاق والآداب بالسجن، وحاربت بذلك الثقافة والوعي، شملته تعاسة عدم وعي الناس، وعمّته بلية اللاوعي الراسخ في الشعب، حيث أنه أطيح به وبحكومته في انقلاب عسكري مسلّح أودت بحياته وحياة حكومته، وأغلقت ملف النظام الملكي في العراق، وذلك على ما هو معروف من تاريخ الملكيين.

وهذا كان من نتائج محاربة الوعي والثقافة، حيث تمكن الأسياد بواسطة عدم وعي الناس من تنفيذ انقلاب عسكري ضدهم، من دون اعتراض أحد من الناس، بينما لم يستطع الأسياد من تنفيذ انقلاب عسكري ضد بعضهم الآخر لوعي الناس عندهم.

الملكيون ومدرسة الإمام الصادق عليه السلام

وإني أذكر أيضاً أنه حينما أردنا تأسيس مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الأهلية في كربلاء المقدسة، وذلك مع جماعة من الأصدقاء الأخيار، لم تمنح الحكومة إجازة فتح المدرسة، وإنما أخّرت الموافقة على فتحها إلى أكثر من عشرة أشهر وكانت تأتي لتوجيه ذلك بأعذار تافهة وواهية للغاية، لكنا أصررنا على فتح المدرسة، وأخيراً اضطرت الحكومة إلى منح الإجازة وإعلان الموافقة على فتحها.

هذا، وقد كانت المدرسة في ذلك اليوم ابتدائية فقط ولم تشتمل على المتوسطة والثانوية والجامعية، فإن الحكومات المسيَّرة لا تريد لأن أسيادها لا يريدون تقدم الثقافة والوعي في بلادنا حتى بهذا القدر، مع العلم أن الحكومة آنذاك كانت تابعة لنظام ملكي يدعي الحرية ويهتف بها، وكانت الأحزاب فيه حرة ومتعددة.

وكانت المدينة المقدسة هي الأخرى بحاجة إلى مثل هذه المدرسة الأهلية لكن بما أن الحكومة كانت حكومة مسيَّرة والأسياد لا يريدون تقدم المسودين، فكانت تطبق ما يريده

مشكلة الطبقات) وغيرهما..

الأسياد تطبيقاً حرفياً، لأنها لا تتمكن من مخالفتهم ولو بمقدار قيد شعرة.

هكذا تكون معاملة الأسياد

نعم، هكذا كان يتعامل الأسياد ولا يزالون يتعاملون به مع الشعوب المسودة، بينما تعاملهم مع شعوبهم ليس كذلك، بل هو بالعكس تماماً، ولذلك قال غاندي[11] الزعيم الهندي للضابط البريطاني ممثل أحد أبرز دول الأسياد وأخبثها: (إنك أسد في الهند، وفأرة في لندن) وهذا ما نجربه كل يوم في هذه البلاد المسودة، علماً بأن تعاملهم هذا ـ بالنسبة إلينا ـ ليس خاصاً بمجال الثقافة وحدها، بل هو عام يشمل كل شؤون الحياة.

حتى إني أذكر أنه كان في بغداد مهندس شاب قد اخترع ساعة بدون فنر، فلما سمعت به الحكومة، أوعزت إلى عمال وزارة الأمن والاستخبارات بأن يأخذوه إلى مكان مجهول حيث لم يظهر له بعد ذلك عين ولا أثر، مما يظن أنهم أعدموه، وصادروا الساعة منه، تنكيلاً بالمبتكرين المسلمين وتحجيماً للصناعة الوطنية وتهديداً للتصنيع الداخلي، حتى تبقى بلادنا مستوردة دائماً، ومحتاجة إليهم أبداً.

كما أن في إيران قبل ما يقارب من أربعين سنة، ظهر في مجال الطب القديم طبيب حاذق، كان يعالج الناس بالطب اليوناني معالجة سريعة، وطار صيته في البلاد، فصنعت له الحكومة عبر رجال الأمن والاستخبارات حادث اصطدام مفتعل، وقضت به على حياته، وذلك حتى لا يظهر هذا الطب السهل النافع والسريع الناجع، الذي هو في مصلحة الشعب المسلم ونفعه ولئلا يكون يوماً ما من عوامل الاكتفاء الذاتي لهم، فيكون تهديداً لمصالح الأسياد، قاموا بالقضاء عليه في مهده، واجتثاثه من أساسه وجذره.

وحاصل الكلام هو:

---

(11) موهانداس كرامشاند غاندي (١٨٦٩ – ١٩٤٨م) زعيم وطني هندي ومصلح اجتماعي ورائد فلسفة اللاعنف في الحياة السياسية في عصره، ولد في مدينة (بوربند) الواقعة في مقاطعة غوجارات الهندية، لقب بـ(المهاتما) أي (النفس السامية) أو (القديس)، دعا إلى تحرير القارة الهندية من سيطرة الاستعمار الإنكليزي بالطرق السلمية والمقاومة السلبية بعيداً عن العنف، وتقوم الأسس العقائدية والفكرية لنضاله على خلفيات دينية واقتصادية وسياسية في آن واحد، وهو في هذا المضمار قد تأثر بالتعاليم من الكتب السماوية مثل (القرآن الكريم) و(الإنجيل) والتعليمات الروحية الهندوسية ← وبعدد من المؤلفات، كما لا ينسى دور والدته في تربيته الدينية وبناء شخصيته أيام طفولته وصباوته، وقد تأثر تأثراً عميقاً بقضية عاشوراء التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وسبي أهل بيته عليهم السلام حتى قال مقولته الشهيرة: (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر)، أدت جهوده الحثيثة إلى استقلال الهند عام ١٩٤٧م، كتبت عن شخصيته أكثر من ثلاثمائة كتاب، اغتاله برهماني متعصب في العام (١٩٤٨م).

إن الأسياد يغلقون علينا ـ عبر الحكومات المسيَّرة ـ أبواب العلم ونوافذ الفكر، حتى لا يحصل للإنسان المسلم وعي ورأي ولايحصل له تقدم علمي وثقافي.

وذات مرة قال لي أحد التجار وكان من أصدقائنا: بأنه يسعى لتأسيس مصنع لتجميع السيارات وكان يحاول الحصول على إجازة ذلك من الحكومة، لكني قلت له: لا تحاول ذلك، فإن حكوماتنا غير مستعدة لإجازة أمثال هذه الأمور، لكن الرجل كبقية الناس لحسن ظنه حاول وحاول ذلك لمدة طويلة من الزمان للحصول على الإجازة، ثم بعد ثلاث سنوات قالت له الحكومة مهددة: الأفضل لك أن تترك هذا الأمر، مما اضطر إلى تركه!.

يقال: حسب القواعد العلمية: إن كثرة العدد، هي مما تزيد الأمة شوكة وشرفاً وتكسب بهم عزة ومنفعة، وليس هناك اليوم أمة هي أكثر عدداً من المسلمين فقد صرحت الإحصاءات الأخيرة بأن المسلمين يبلغ عددهم ملياري نسمة، فلابد أن يكونوا أقوى الأمم وأعزّهم، أو على الأقل من أقواهم وأعزّهم، ولكنهم أصبحوا على عكس ذلك، لأنهم قد أسقطوا بالإجماع أسباب عزهم وسؤددهم، وكأن الحكومات الإسلامية قد أجمعت على إسقاط الأسباب التي قررها الإسلام بنص القرآن الحكيم لصالحهم وأرادها الله لهم.

(٢)

من أسباب العزة:

الأخوّة الإسلامية

ومن أسباب عزّهم: الأخوّة الإسلامية، فإن عامل الكثرة إذا اتحد مع عامل الأخوّة، انتج العزة، وليس للكثرة وحدها.

ولذلك نرى أنه قد آخى الرسول ﷺ بين المسلمين مرتين:

مرّة في مكة المكرمة.

ومرّة في المدينة المنورة.

فسلمان الفارسي وصهيب الرومي، وبلال الحبشي وأبو ذر العربي، كلهم صاروا أخوة ببركة الإسلام، وصار لكل واحد منهم ما للجميع، وعلى كل واحد منهم ما على الجميع، وذلك من غير نظر إلى عشيرة أو قبيلة أو أصل أو فرع، وإنما كان الميزان هو: ما ذكره القرآن الحكيم بقوله:﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[١٢] علماً بأن هذه (الأكرمية لأفراد الأمة المتآخين) إنما تكون عند الله من حيث الأجر والثواب لا من حيث الأمور الدنيوية.

نعم، في الأمور الشرعية الميزان هو التقوى أيضاً، مثلاً: العدالة شرط في القضاء والشهادة وكذلك هي شرط في الاجتهاد والتقليد، وما أشبه ذلك.

وكيف كان: فإن الأخوّة الإسلامية هي من أهم أسباب عزة المسلمين، ومن يوم ترك المسلمون (الأخوة الإسلامية) فقدوا عزهم وضاعت شوكتهم، بينما أخذها غير المسلمين فصاروا أخوة ونالوا بذلك القوة والعزة، وأصبحوا سادة الدنيا.

الأُخوّة عند غيرنا

---

[١٢] سورة الحجرات: ١٣.

وقد نقل لي أحد الأصدقاء في كربلاء المقدسة وكان يعرف الندافة، ويتقن الخياطة أيضاً، فكان خياطاً وندّافاً في وقت واحد، وكانت من مهنته تهيئة ما يرتبط بالندافة والخياطة من جهاز الزواج، كخياطة ملابس الزوجين، وتهيئة ما يحتاجونه في غرفة منامهما من ندافة وما أشبه ذلك، قال: استقدمني إلى بغداد أحد التجار اليهود لأخيط لابنته وصهره ملابس العرس والزواج، فذهبت إليه، فأخذني معه إلى داره، وكانت داراً واسعة فارغة من أي أحد، وهيأ لي فيها ما أحتاجه لخياطة الملابس من قماش وخيط وزرار وما أشبه ذلك، فكنت أذهب كل يوم وقت العمل إلى ذلك البيت وأشتغل بالخياطة، وذات يوم وأنا مشغول بخياطة الملابس وإذا بي أسمع من أحد أطراف البيت صوت شخص يتكلم باللغة الفارسية، فتعجبت وناديت: من المتكلم؟ فسمع صوتي وجاء إلي، فرأيته ريفياً بهيكله وملابسه.

فقلت له: ماذا تعمل هنا؟

فقال: إني صهر لهذا اليهودي.

فلم أصدّقه في قلبي واحتملت أنه بستاني فلاح وقد استخدمه التاجر اليهودي لإصلاح حديقة البيت، لكنه أكد على ادعائه ذلك.

فقلت له: من أي بلد أنت؟

قال: من قرية كذا..

وهي إحدى قرى إصفهان، وملابسه كانت تدل على ذلك، فتركته واشتغلت بعملي، حتى إذا جاء التاجر اليهودي صاحب البيت، سألته عن حال هذا الشاب الإصفهاني وعما يدعيه من مصاهرته له؟

فقال: نعم هو صهري.

فقلت له: وبأية مناسبة أصبح صهركم؟ هل كانت له قرابة أو صداقة معكم؟

فأجاب التاجر قائلاً: كلا، لم يكن له أية صداقة أو قرابة معنا، لكنه شاب يهودي أتى إلى بغداد، وحيث عرفنا أنه يهودي وغريب في بغداد التففنا حوله، وحاولنا مساعدته ومشاطرته حتى لا يحس بغربته، فقررنا أن يعطيه أحدنا رأس مال للتجارة وأن يعطيه ثان داراً يسكن فيها، وأن يزوجه ثالث ابنته، وقد صار القرار أني أزوجه ابنتي.

فقلت له وقد ازداد تعجبي: وهل تزوجه لمجرد كونه يهودياً؟

قال وبكل انشراح: نعم إنه مجرد كون الشخص يهودياً يجعله منا وإن لم يكن بيننا وبينه صلة ولا قرابة، ولم يجمعنا معه لغة ولا بلد، فيجب له ما لجميعنا، ويلزم عليه ما على جميعنا.

قال: وقد ورأيت ذلك الشاب الغريب بعد أيام وقد زوجه التاجر اليهودي ابنته، وأعطاه مسكناً وفتح له محلاً تجارياً في سوق الشورجة المعروفة في بغداد.

آثار رعاية الأخوّة وعدم رعايتها

وهكذا أخذ اليهود على قلّتهم يراعون الأخوة الدينية عندهم عملاً حتى استقووا وتمكنوا من اغتصاب فلسطين وإعلان سيادتهم عليها وعلى المنطقة.

بينما نرى المسلمين صاروا شيعاً متناحرة، وأحزاباً متخاذلة، وقوميات متفاخرة، فهذا من قومية عربية، وهذا من قومية كردية، وهذا من قومية فارسية، وهذا من قومية هندية وهكذا.. وكل واحد منا يرى غيره أجنبياً عنه، فلم يراعوا الأخوّة الإسلامية حتى كأنهم نسوا قول الله سبحانه:﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[١٣]ونسوا قوله تعالى: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[١٤] ففقدوا على أثر ذلك عزّهم وسؤددهم.

التسفير والتهجير عمل غير إنساني

وإني أذكر أن في نفس تلك الأيام، قام رئيس الوزراء العراقي عبد المحسن السعدون المشهور بـ(حاصر المهن) بإخراج وتسفير إخوتنا في الإسلام والدين بجرم أنهم من الإيرانيين أو من الباكستانيين، أو من الهنود، أو من الأفاغنة، أو من غير ذلك.. وسفّرهم من العراق بحجة أنهم أصبحوا عالة على العراقيين، أو أنهم صاروا يزاحمونهم في اكتساب الأعمال والأرزاق، وامتلاك الأموال والخيرات، وما إلى ذلك من مغالطات وسفسطات، وتمويه وتشويه على الناس.

ثم هل توسّع الأمر أو وفّر الفيء على العراقيين من جرّاء تسفير هؤلاء؟ أو حصل العكس من ذلك؟

لقد أثبت تاريخ العراق أنه حصل لهم العكس، فقد تضيّق على العراقيين بدل السعة وقلّ

---

[١٣] سورة الحجرات: ١٠.

[١٤] سورة الحجرات: ١٣.

فيئهم وتدهور عيشهم واقتصادهم، وأخذ العراق في الانحطاط والانزواء.

هذا وقد قال سبحانه: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً**﴾[١٥] أي معيشة ضيقة.. فإن الضنك هو ضيق العيش، وقد رأينا ذلك الضنك بأعيننا، وسمعنا تأوّه الشعب العراقي المسلم من ثقله واستغاثته عن وطأته بأسماعنا وآذاننا، فهل من معتبر؟

وأما ما ذكره تعالى بعد ذلك من قوله سبحانه:﴿**ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ فإنه سيرينا الله تعالى ذلك في يوم الحشر والنشر.

إحياء القوميات مخطط استعماري

ثم إن حكام العراق .كبقية حكام المسلمين . وبأمر من الأسياد: قاموا بإحياء ما أماته الإسلام وحاربه من عادات الجاهلية المشؤومة ألا وهو الاعتزاز بالقوميات، فأحيا الحكام في العراق القومية العربية وأهانوا أكراد العراق ومنعوهم من حقوقهم المشروعة، مما سبب غضبهم والقيام ضد الحكومة المركزية وإعلان الثورة عليها والمطالبة باستقلالهم وبانفصال كردستان عن العراق، وقد أدّى هذا التصادم الذي دام ما يقرب من خمسين عاماً إلى ذهاب عشرات الألوف من القتلى ضحايا، والى رواح آلاف القرى والأرياف دماراً وتخريباً، وما إلى ذلك مما هو معروف من الحرب العراقية . الكردية[١٦].

كما أن تسفير الإيرانيين المقيمين في العراق والمتولّد كثير منهم وآباؤهم في العراق، كان هو العامل الآخر الذي سبّب العداء المستحكم بين حكومتي الجارين المسلمين، مما انتهى إلى محاربتهما وإدخال الشعبين المسلمين في حرب طاحنة التهمت نفوس الكثير من شبابهما، وابتلعت المقادير الكبيرة من أموالهما، وقد سمعت أنا شخصياً من أحد المسؤولين في إيران — واشتهر أيضاً ذلك – أن الحرب سببت عليهم خسارة ألف مليار دولار مادياً فقط دون الأضرار المعنوية والأخلاقية التي لا تقدير لها أبداً، كما سمعت أيضاً من الإذاعة العراقية أن الحرب سببت لهم خسارة سبعمائة مليار وأكثر مادياً أيضاً وذلك من غير الخسائر المعنوية الفادحة التي لا تقدّر، ومن غير ما قدّمته الحكومات العربية من الأموال والمؤن والمعدّات الحربية إلى العراق كمساعداته المجانية، ومن غير الشباب العراقيين الذين قتلوا بلا حساب مما

---

[١٥] سورة طه: ١٢٤.

[١٦] وفي (مجزرة حلبجة) وحدها قتل النظام العراقي أكثر من ستة آلاف شخص بالأسلحة الكيماوية المحرمة.

لا يعلم عددهم إلاّ الله سبحانه وحده.

وأخيراً نال عبد المحسن السعدون جزاءه العاجل في الدنيا حيث اضطر إلى أن يقتل نفسه بيده ـ كما اشتهر أنه انتحر ـ، أو بيد المستعمرين فقد أوعز الأسياد ـ بعد أن قضوا وطرهم منه ـ إلى قتله والتخلّص منه، فإن (من أعان ظالماً – كما ورد[١٧] في الحديث الشريف – سلّطه الله عليه)، وهذا ما ثبت تجربته في التاريخ وخصوصاً التاريخ المعاصر في العراق وغير العراق.

هذا، ولا يخفى أنه يمكن تلخيص معنى الأخوّة الإسلامية التي أمر بها الإسلام في تشريك جميع المسلمين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم وبلادهم في الحقوق التي منحها الإسلام لكل مسلم وبصورة متساوية دونما أي تفاوت وتفاضل.

[١٧] بحار الأنوار: ج٨٩ ص١٧٢ ب١٥.

(٣)

من أسباب العزّة:

الأمة الإسلامية الواحدة

وقد أسقطت الحكومات الإسلامية المسيّرة حكم (الأخوّة الإسلامية) المقررة بصراحة في القرآن الحكيم:﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾[١٨] والذي نفذه الرسول ﷺ بإصرار وعمل به المسلمون طول التاريخ الإسلامي حتى ما قبل نصف قرن تقريباً.

كذلك أسقطوا (الأمة الواحدة) حيث يقول سبحانه:﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحد وأنا ربكم فاتقون**﴾[١٩] وقد طبّق الرسول ﷺ هذا الحكم الإسلامي الصريح في أول الإسلام بقوة، وذلك عندما انتشر الدين الإسلامي الحنيف وتوسّع في البلاد المجاورة للجزيرة ونفذ إليها وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فقامﷺ بعد إسقاط الحدود النفسية الضيقة بالتآخي بين المسلمين وقام بإسقاط الحدود الجغرافية بين القبائل والمدن وما أشبه ذلك لصياغة الأمة الواحدة.

وكان ما طبقه الرسول ﷺ في حكم (الأمة الإسلامية الواحدة) ثابتاً إلى قبل ما يقارب نصف قرن، حيث أسقطت الحكومات المسيّرة وبإيحاء من الأسياد، حكم الله الصريح في الأمة الواحدة وجعلوا المسلمين شيعاً وقطعوهم تقطيعاً وبضعوهم تبضيعاً.

ومن الواضح، أن الاتحاد قوة وأن التشتت ضعف، وقد نهى الله عما يسبب ضعف المسلمين بقوله سبحانه:﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[٢٠] ومن المعلوم أنه قد حصل تنازع غريب بين بلاد الإسلام على أثر هذه الحدود الجغرافية المبتدعة، مما أنتج ضعف

---

[١٨] سورة الحجرات: ١٠.

[١٩] سورة المؤمنون: ٥٢.

[٢٠] سورة الأنفال: ٤٦.

المسلمين وذهاب شوكتهم وسيادتهم.

وإني أذكر قبل خمسين سنة تقريباً ونحن في العراق كيف أن مسلمي الهند ومسلمي أفغانستان ومسلمي إيران ومسلمي تركية، ومسلمي كردستان وغيرهم كانوا يأتون إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة ويذهبون من العراق بلا تأشيرة دخول أو خروج أو ما أشبه ذلك، إذ لا حدود جغرافية بينهم.

كما لا حدود جغرافية بين البلاد العربية أيضاً، فكانوا يتنقلون فيها بلا حاجة إلى جواز أو هوية أو ما شابه ذلك..

كما كان المسلمون من العرب ومن غيرهم من البلاد العربية وغيرها يذهبون إلى الحج لأداء المناسك وزيارة الرسول صلى الله عليه وآله وزيارة أئمة البقيع عليهم السلام ثم منها إلى زيارة المسجد الأقصى وزيارة آثار الرسول صلى الله عليه وآله والأنبياء السابقين في بيت المقدس وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلادهم وهم يعاملون معاملة أمة واحدة، فيسافرون بينها كما يسافر النجفي إلى كربلاء، والكربلائي إلى بغداد، والبغدادي إلى البصرة، وهكذا رواحاً ومجيئاً بلا أي مانع أو دافع، حتى فرقهم الحكام وبأمر من الأسياد وجعلوهم أمماً متعددة، لا يدخل بعضهم بلد بعض إلاّ بإجازة وتأشيرة ورسوم وضرائب وما أشبه ذلك.

وقد فرض حزب البعث الحاكم على العراق أخيراً على كل من يذهب إلى العتبات المقدسة للزيارة ضريبة باهظة وذلك لتأشيرة الدخول والخروج ما يقارب الألف دولار للإيرانيين، وأربعمائة دولار للهنود والباكستانيين، ومائة دولار لغيرهم وهكذا، ثم أنه لا يجد الإنسان نتيجة ذلك إلاّ ضعف العراق اقتصادياً وسياسياً وغير ذلك.. ضعفاً غريباً يصعب تصوّره ويعظم تصديقه.

البلاد الإسلامية قبل قرن

هذا، والبلاد الإسلامية كانت تختلف تماماً قبل قرن عما هي عليه اليوم، فقد كانت لي جدّة عمرت أكثر من ثمانين عاماً، وقد رأيتها وأدركتها فسألتها عن سفرها إلى الحج وأنا في العقد الثاني من مقتبل عمري فقصّت لي قائلة:

إنها في طريقها إلى الحج قبل ثمانين سنة كانت قد مرّت على الأردن وسورية ولبنان وفلسطين ومصر حتى ذهبت إلى الحج، ثم رجعت بنفس الطريق بالجمال تارة وبالسفن

أخرى.

فسألتها عن كيفية الحدود بين هذه التي مرت بها؟

فقالت: إن الذهاب من بلد إلى بلد في ذلك الزمان، كان كذهابك من كربلاء المقدسة إلى النجف الأشرف، أو من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة.

نعم إنها مرّت في طريقها إلى الحج بتلك البلاد، للتشرف بزيارة المزارات المشهورة، فقد زارت . حسب قولها .: السيدة زينب عليها السلام في سوريا، والسيدة خولة في لبنان، والمسجد الأقصى في بيت المقدس، ومسجد رأس الحسين عليه السلام في مصر وكذلك زارت السيدة نفيسة في مصر، وهكذا.. علماً بأن الحكومات في هذه البلاد كانت مختلفة، فلكل بلد حكومة خاصة وحاكم معيّن، لكن لا حدود بينها بحيث كل من أراد الدخول والخروج في كل منها احتاج إلى التأشيرة والجواز، وإنما كانت البلاد الإسلامية على اختلاف حكوماتها واحدة، كاختلاف المحافظات والألوية بالنسبة إلى البلد الواحد والدولة الواحدة في يومنا هذا، فالحدود بين بغداد . مثلاً . وبين كربلاء المقدسة وبين النجف الأشرف وبين البصرة، وبين الموصل وبين الناصرية وما أشبه ذلك غير موجودة، وإن كان المحافظون لكل منها ومن أشبههم فيها مختلفين.

نعم هكذا كان حال البلاد الإسلامية في العالم الإسلامي قبل الحرب العالمية الثانية، ولم يكن الأمر من جهة وجود الحكومة الواحدة وهي الحكومة العثمانية آنذاك، لأنه لم تكن حكومة العثمانيين شاملة لبلاد إيران وما والاها من البلاد الإسلامية ومع ذلك لم يكن بينهم حدود، وكان المسلمون يأتون من الهند والسند وإيران وغيرها إلى العتبات المقدسة في العراق ويرجعون إلى بلادهم، أو يذهبون من هذه البلاد إلى الهند والسند وإيران وغيرها للسياحة والتجارة وغير ذلك، بلا حدود ولا قيود، ولا جوازات ولا تأشيرات دخول وخروج، ولا رسوم ولا ضرائب ولا ما أشبه ذلك.

الحدود لصدّ الزائرين وأخذ الضرائب

وكذلك حدثني والدي[٢١] رحمه الله: أنه ذهب إلى إيران . قبل ما يقارب من ثمانين سنة . لزيارة الإمام الرضا عليه السلام بلا جواز ولا تأشيرة دخول ولا خروج ولا ضرائب ولا رسوم لأنه لم يكن بين إيران وبين العراق يوم ذاك حدود جغرافية مع أن الحكومة في البلدين . إيران والعراق . لم تكن

[٢١] هو آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (١٣٠٤ . ١٣٨٠هـ).

واحدة بل كانت متعددة.

وهكذا أنا بنفسي وفي أوائل شبابي كنت قد رأيت أفواج الزائرين الذين كانوا يقصدون العتبات المقدسة من لبنان ومصر وتركيا والكويت والبحرين والجزيرة العربية وغيرها إلى العراق ثم يرجعون إلى بلادهم، ويذهب أهل هذه المشاهد المشرفة إلى تلك البلاد بقصد التجارة أو بقصد الزيارة والحج والعمرة وذلك بكل حرية بلا جواز أو تأشيرة دخول.

نعم جاءت هذه الحدود بل جاؤوا بها لصد الزائرين وأخذ الضرائب وفصل الأمة الإسلامية والبلد الإسلامي بعضها عن بعض.

من أهداف مخطط الحدود

ثم إن السعة في البلاد وحرية التنقل بينها والتكسب فيها توجب السعة عند الأشخاص تجارة وزراعة وزواجاً وسكناً وغير ذلك.. كما وتوجب السعة في البلاد التقدم لها اقتصاداً واجتماعاً وصناعة وعمراناً.

ولكن لما قسّمت البلاد بسكاكين الاستعمار إلى أقسام صغيرة ومتناحرة صار الضيق بين الناس والشدة في عيشهم والتأخر لحياتهم، بما نشاهده اليوم.

علماً بأن من أهداف تقسيم الاستعمار بلادنا الواحدة إلى هذه الأقسام هو: التضييق على الناس أكثر فأكثر، ولذلك أوكلوا إلى عملائهم تنفيذ هذا المخطط الاستعماري تنفيذاً دقيقاً، وأوصوهم بتوسعة مخطط الحدود وسحبه من بين البلاد إلى ما بين المدن لبلد واحد أيضاً.

ولذلك نرى أن البهلوي الأول[٢٢] . وقد أدركته وأنا أتذكر أيامه الأخيرة . يقوم بوضع الحدود ورسمها بين قم وطهران، وبين مشهد وشيراز، وبين خراسان واصفهان وهكذا.

كما أنه قد قصّ لي الوالد رحمه الله وغيره من الثقاة بأن البريطانيين لما احتلوا العراق عسكرياً ودخلوه فاتحين، أوجدوا الحدود التي ابتدعوها حول مدن العراق ومحافظاته، فكانوا لا يجيزون

---

[٢٢] رضا خان (١٢٩٥ ـ ١٣٦٣هـ) أرمني من منطقة كرجستان هاجر إلى إيران في زمن حكم القاجاريين دخل العسكرية، وأصبح وزيراً للحربية ثم رئيساً للوزراء في حكومة أحمد القاجاري، أطاح بهم ولقّب نفسه بالبهلوي، إتسم حكمه بإحياء القومية الفارسية، ونشر المذهب البهائي الاستعماري، والقضاء على المعالم الإسلامية، وهدم المساجد والمدارس، ومنع علماء الدين ورجال الفكر من ممارسة أدوارهم في الحياة، ونشر مظاهر الفساد كالخمر والقمار ودور البغاء..، نفاه الإنجليز إلى جزيرة موريس عام ١٣٥٩هـ بعد أن صادروا حقائبه الألفين المملوءة بالمجوهرات والأشياء الثمينة بعد حكم دام ستة عشر عاماً وقتل في منفاه.

لأحد السفر من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة، ولا من كربلاء المقدسة إلى الكاظمية المشرفة، وهكذا.. إلاّ بتصريح خاص من الحاكم البريطاني، وكان ذلك طبعاً قبل قيام الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي[٢٣] (قدس سره) بطرد البريطانيين الغاصبين من العراق.

وكيف كان، فإن هذه الحدود المصطنعة ثبتت بتخطيط الاستعمار وتنفيذ عملائهم بين كل البلاد الإسلامية من الهند والباكستان، وبنغلادش والبورمة، وأوزبكستان وطاجيكستان، والعراق وإيران، وهكذا غيرها من سائر البلاد الإسلامية للتضييق على الناس.

هذا، وقد ذكر لي بعض أهل الهند وباكستان وبنغلادش: إن بلادهم كانت مجزأة أيام الاحتلال البريطاني بفعل البريطانيين كل تجزئة، حتى أنهم كانوا قد قطعوها إلى ثلاثمائة قطعة وجعلوا بين بعضها مع بعض حدوداً جغرافية، ولم يسمحوا لأحد بالتنقل بينها إلاّ بمؤشر من الحكام البريطانيين المحتلين، وهكذا بقيت هذه الحدود المبتدعة حتى استقلال الهند، فإنه لما استقلت الهند قبل خمسين سنة ألغت كل تلك الحدود التي صنعها المستعمرون على أراضيها.

وقد حكى لي أحد المطلعين بأن الأمر كان كذلك أيضاً في الصين، وذلك إبان كانت الصين تحت الاحتلال الغربي، أو الياباني، فكانت مجزأة وبينها حدود جغرافية مفتعلة.

الجاهلية والحدود الجغرافية

هذا، ولا يخفى أنه كان حال الجزيرة العربية وأطرافها في الجاهلية وقبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله ومجيء الإسلام، حال البلاد الإسلامية في هذا اليوم مجزأة ومبضّعة، يحدّ كل قطعة منها حدوداً كاذبة ويفصلها فواصل لا أساس لها، فكان – مثلاً – بين القبائل: قبيلة مع قبيلة حدود، وبين المدن ومحلاتها حدود، وبين القبائل والمدن حدود وهكذا، فلما جاء الرسول صلى الله عليه وآله بالعدل والرحمة أسقط كل تلك الحدود المصطنعة وألغاها من بينهم، مما بعضها ساقط إلى اليوم، وبعضها عاد بسبب التخطيط الاستعماري الهادف للسيطرة على بلاد المسلمين وثرواتهم، وساعدهم على إعادتها الحكّام المسيّرون من قبل أولئك الأسياد المستعمرين، فعادت الجاهلية إلينا من جديد، وغشيتنا بظلامها القاتم ثانية.

بينما أخذت الدول الأوروبية تفيق من جاهليتها، وتنفض عن نفسها غبارها وظلامها،

---

[٢٣] المرجع الديني المجاهد آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية الكبرى الشهيرة بـ(ثورة العشرين) (١٣٣٨هـ – ١٩٢٠م)، استشهد مسموماً من قبل الأعداء بتاريخ (٣/ذي الحجة/ ١٣٣٨هـ) ودفن في الروضة الحسينية في كربلاء المقدسة.

وذلك باتحادها وإسقاط الحدود فيما بينها، وتوحيد عملتها وثقافتها وبرامجها رغم الاختلاف الكبير الموجود بين شعوبها من حيث اللغة والدين والاقتصاد وسائر الخصوصيات، فلا ترى اليوم حدوداً بين الدول الأوروبية على تعددها وتعدد حكوماتها ورغم وسعتها وعظيم مساحتها، ترفيهاً على شعوبهم وتوفيراً لحرياتهم، فهم سائرون بينها ويتاجرون فيها بلا أي مانع أو دافع، ولا رسوم ولا ضرائب، يعني أنهم أخذوا خير ما عندنا وأعطونا شر ما عندهم، وبذلك انطبق على المسلمين المثل المشهور: (رمتني بدائها وانسلّت).

نعم، إنهم جعلوا بين بلادنا الموحدة حدوداً، ورفعوا الحدود بين بلادهم المتعددة، فاللازم علينا أن نعمل إلى إعادة الإسلام والرجوع إلى حالتنا السابقة من عدم الحدود وحرية التنقل والتجارة حتى يكون المسافر المسلم متنقلاً بين البلاد الإسلامية بحرية كاملة، فيسافر من اندونيسيا ـ مثلاً ـ إلى العراق، ومنها إلى إيران، ومنها إلى مصر، ومنها إلى المغرب، وهكذا بلا جمارك ولا حدود ولا ضرائب ولا رسوم.

التنديد ببدعة الحدود والجوازات

وإني أذكر جيداً حين كان المسلمون في إيران يأتون لزيارة العتبات المقدسة في العراق ولا حدود بين البلدين، ولا رسوم ولا ضرائب، ثم أحدثها البهلوي الأول، كما أحدث بدعة الجوازات لسفر الحج والعمرة والزيارة فانزعج الناس عند ذلك اكبر انزعاج، وغضبوا أشد الغضب، لأنهم رأوا في ذلك تقسيماً لبلدهم الواحد، وتحديداً لحريتهم في السفر للحج والعتبات المقدسة، وقد قالوا قصائد في هذا الشأن، وأذكر أن قصيدة طويلة قيلت تنديداً بما أحدثه البهلوي من معاناة الزوار الذين كانوا يأتون من إيران إلى العراق بسبب ما ابتدعه من الحدود وفرض الضرائب والرسوم وذلك باللغة الفارسية وكانت تباع في صحني الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، كما وأصدر بعض مراجع العصر في ذلك الزمان فتوى بتحريم السفر للحج والزيارة ليحارب بذلك بدعة إحداث الحدود وإيجاد الجوازات، غير أن عمالة البهلوي وغيره من الحكام، وعدم وعي الأمة وعياً كافياً، ساعد على تحكيم بدعة الحدود والجوازات، وأظن أن تلك الفتوى وكذلك تلك القصيدة وهكذا القصائد الأخرى التي نددت وشجبت هذه البدعة الاستعمارية موجودة في بعض المكتبات المتواجدة في كربلاء المقدسة، والنجف الأشرف.

ولا يخفى أن بدعة الحدود والجوازات .كبقية البدع . بدأها الاستعمار في بلادنا بشكل بسيط وبصورة سهلة، فالحدود مثلاً أول ما أحدثوها بين إيران وبين العراق كانت تتلخص في أن السيارة الكبيرة الممتلئة بالناس وأحياناً كانت تحمل أربعين شخصاً أو ما يقارب ذلك، عندما كانت تصل إلى منطقة قصر شيرين أو الخسروي، أو تصل إلى المحمّرة أو عبادان، كان صاحب السيارة يقدّم إلى الجمرك مبلغاً قدره خمسة قرانات فقط فيعطوه ورقة كبيرة مكتوب فيها أسماء الزائرين وأرقامهم، يعني: يعطوه قائمة بأسماء المسافرين وعددهم، وليس أكثر، ولكن مع ذلك كان الناس المسلمون ينزعجون من هذا الأمر أكبر انزعاج لأنهم كانوا يرونه خلاف الإسلام، وخلاف الحرية التي منحها الإسلام لهم.

ثم لا يخفى أنه يمكن تلخيص معنى (الأمة الإسلامية الواحدة) فيما يلي: رفع الحدود الجغرافية والحواجز النفسية، وتوحيد اللغة والتاريخ والعملة، وما شابه ذلك..، على أن تكون اللغة المشتركة لغة القرآن، والتاريخ الرسمي تاريخ الإسلام الهجري القمري، والعملة الدينار والدرهم، وهكذا..

(٤)

من أسباب العزّة:

الحريات الإسلامية

ومن أسباب عزّة المسلمين التي أسقطها المستعمرون وذلك بمعاونة من حكام بلاد الإسلام المسيَّرين والتابعين لهم هي:(الحريات الإسلامية)، علماً بأن الإسلام يمتاز على سائر الأديان والمبادئ بأنه مجموعة كاملة للحياة، فهو يعمّ أمور الدنيا والآخرة، ويعتني بشؤون الروح والجسم معاً، فليس هو مجرد طقوس دينية وعبادية كالمسيحية وما والاها، ولا هو مجموعة أمور مادية ودنيوية كاليهودية وما شابهها، بل هو . إلى جانب العبادات والمعنويات . دين الأخوة والأمة الواحدة، ودين الحريات الإنسانية والسياسية الصحيحة العادلة.

والحكومات التي تدّعي الإسلام ولا تطبق حكم الإسلام في الأخوّة الإسلامية، والأمة الواحدة، والحريات الإسلامية، هي حكومات بعيدة عن الإسلام، لأنهم تظاهروا بظواهر الإسلام فقط من صلاة وصيام، وستر وحجاب مثلاً، وأبطنوا إنكار واقع الإسلام من العدل والقسط، والأخوّة الإسلامية، والأمة الواحدة، والحريات الإسلامية الشاملة لحرية السفر والحضر، والتجارة والاكتساب، والعمران والزراعة، وما إلى ذلك، فإن هذه الحكومات المسيّرة تركوا تطبيق كل الأحكام الإسلامية قاطبة وتمسكوا فقط بتطبيق القوانين الجزائية في الإسلام، مع أن القوانين الجزائية في الإسلام لا يجوز تطبيقها إلاّ بشرطين[٢٤]:

١) تطبيق كل الأحكام الإسلامية بحذافيرها تطبيقاً حرفياً دقيقاً في البلاد وبين كل الأمة، بحيث لا يبقى حكم واحد من أحكام الله معطلاً في جانب من جوانب الحياة، لا في الأخوّة

---

[٢٤] (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين): ص٤٤٧ حول العقوبات، و(طريق النجاة)، و(الصياغة الجديدة لعالم الإيمان و...)، و(حوار حول تطبيق الإسلام): ص٣٥ العقوبات الإسلامية، و(الحكم في الإسلام – من موسوعة الفقه ج٩٩): ص١٠٩ حول العقوبات الإسلامية ، و (الدولة الإسلامية – من موسوعة الفقه ج١٠١): ص١٧٦ لا حدّ في جوّ غير إسلامي، و(القضاء – من موسوعة الفقه: ج١ – ٢) للإمام المؤلف (دام ظله).

الإسلامية، ولا في الأمة الواحدة، ولا في حرية التجارة والاكتساب والسفر والحضر والزراعة والعمران، ولا في غير ذلك من العدل والقسط بين الناس.

٢) انتشار عدل الإسلام ورحمته بين كل الناس، فلا فقر ولا فقير ولا عوز ولا غريم، ولا عزب ولا عزوبة، ولا فاقد شغل، أو مسكن، أو مال، أو زوجة، أو سعادة، أو هناء ورفاه..

فإذا توفر هذان الشرطان توفراً كاملاً ودقيقاً، جاز آنذاك . على ما يستفاد من القرآن والسنّة . تطبيق القوانين الجزائية التي قال بها الإسلام، وإلاّ . بأن تخلّف ولو شيء من هذين الشرطين . لم يسمح الإسلام على ما في القرآن الحكيم والروايات الشريفة تطبيق شيء من قوانينه الجزائية، بل يحرّمه تحريماً باتاً، ويتوعد من يجري شيئاً منها بالعقاب والعذاب، وذلك لأنه بتطبيقها يشوّه سمعة الإسلام ويعرّفه في أنظار الناس بالخرق والعنف والقسوة والجفاء مع أنه دين الرفق واللين والرحمة والسماحة، وتشويه سمعة الإسلام أكبر خيانة.

وكيف كان، فإن من أسباب عزة المسلمين هي الحريات الإسلامية الواسعة والشاملة لكل جوانب حياة الإنسان ومجالاته الفكرية والعملية، ويدل عليها القرآن الحكيم، والروايات الشريفة المأثورة عن رسول الله ﷺ والأئمة من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام[٢٥].

الحريات الإسلامية وأدلتها

أما القرآن الحكيم فقوله سبحانه:﴿**لا إكراه في الدين**﴾[٢٦] ففي تفسير شبّر[٢٧]: أي لم يجر الله أمر الدين على الإجبار بل على الاختيار ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾[٢٨]، وفي مجمع البيان[٢٩]: إنها نزلت . على قولٍ . في رجل من الأنصار كان يُكره غلاماً له على الإسلام، وقيل غير ذلك.

وقوله سبحانه:﴿**ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**﴾[٣٠] فالإصر: هو الحمل الثقيل الذي يضعه المجتمع على عاتق الإنسان من العادات والتقاليد غير الصحيحة

---

[٢٥] راجع موسوعة الفقه: (الحريات) و(الحقوق) وكتاب (الحريات الإسلامية) للإمام المؤلف (دام ظله).

[٢٦] سورة البقرة: ٢٥٦.

[٢٧] تفسير شبر: سورة البقرة ٢٥٦.

[٢٨] سورة الكهف: ٢٩.

[٢٩] مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١ ص٣٦٣ في تفسير الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

[٣٠] سورة الأعراف: ١٥٧.

وما أشبه ذلك، والأغلال: هي القيود التي تجعلها السلطات ويفرضها الحكام على الإنسان فتكبّله بها ولا تدعه ينطلق بحرية في أموره الفكرية والعملية.

وأما الروايات الشريفة فقوله ﷺ: (الناس مسلّطون على أموالهم)[٣١] وغير ذلك.. مما معناه: ان للإنسان كامل الحرية في إطار الدين والعقل من حيث التصرف في نفسه وماله.

ثم إن الحريات الإسلامية كثيرة جداً، وقد ذكرنا ألفاً منها في كتاب: (الحريات الإسلامية من الفقه) وذلك مثل الحرية في عمران الأرض: من بناء دار أو محل، وتأسيس سوق أو حمام، و إحداث مزرعة أو بستان، وإنشاء مسجد أو مدرسة، وما شابه ذلك..، فإن كل إنسان حر في حيازة الأرض وعمرانها، والاستفادة من خيراتها وبركاتها، نعم على الحكومة الإشراف لتنظيم حصص الحيازات وتوفير فرص العمل للجميع وصدّ المتجاوز عن حقه والمتعدي على حق الآخرين، وليس أكثر.

هذا، وقد كانت هذه الحريات الإسلامية متوفرة في العراق إلى زماني أنا، يعني إلى قبل خمسين سنة تقريباً، فإني أتذكر أنه قد بُنيت في النجف الأشرف محلة الجُديدة وأحدثت كاملة بكل مرافقها ومشتملاتها . وهي محلة كبيرة جداً وفيها عشرات الآلاف من الدور والمحلات التجارية . بقانون الحرية الإسلامية، فلم يكن الأمر بحاجة إلى إجازة الدولة، ولا كان محتاجاً إلى اشتراء الأرض، وذلك لأن الأرض حسب القانون الإسلامي (لله ولمن عمَّرها)[٣٢].

كذلك كان الأمر في كربلاء المقدسة بالنسبة إلى محلة السعدية، فإني رأيت في تلك المحلة بعض أصدقائي هناك من طلبة العلوم الدينية قد بنوا لأنفسهم وبأيديهم داراً متواضعة، وسكنوها بسلام وأمان، وقد قمت بزيارتهم في تلك الدار أيضاً. وأتذكر أيضاً أن بعضهم اشترى أرضاً من رجل كان يملكها وبناها بيديه داراً له وسكنها، وقد زرته في داره أيضاً وكانت مساحتها مائتي متر، وكان قد اشتراها بمبلغ قدره (٨٠٠ فلس) فقط، علماً بأن قيمة الفلس في ذلك اليوم كان بقوة شراء رغيف واحد من الخبز وكان كل رغيف بوزن ربع كيلو غرام تقريباً، إذ لم يكن في ذلك اليوم وزن كيلو غرام وإنما كان ما يسمى باسم (أوقية) فكان كل أربعة أرغفة أوقية أي ما يعادل كيلو غرام واحد، وثمانمائة فلس كان قيمة شراء مائتي كيلو غرام من الخبز، فيكون معناه: مقابلة مائتي ذراع من الأرض بمائتي كيلو غرام من الخبز.

---

[٣١] بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ح٧ ب٣٣.

[٣٢] الكافي: ج٥ ص٢٧٩ ح٢.

نماذج من القواعد الأساسية في الإسلام

كما إني أتذكر أنه كان في العراق كثير من الناس يحدثون المزارع والبساتين على شواطئ نهري دجلة والفرات وذلك بدون إجازة من الدولة، لأن الدولة بعد لم تكن تضع قوانين مضادة للإسلام، ولا على اشتراء أرض البستان والمزرعة من أحد لأن الأرض لله ولمن سبق إليها وعمرها، إذ في الإسلام في هذا الباب قاعدتان:

القاعدة الأولى: هي قاعدة (الأرض لله ولمن عمَّرها)[٣٣] ويتبعها كما في حديث آخر قول رسول الله صلى الله عليه وآله:(ثم هي لكم مني أيها المسلمون)[٣٤] وقد ذكر الفقهاء بأن (المسلمين) هنا من باب المثال، وإلاّ فلا فرق بين المسلم وغير المسلم إذا لم يكن كافراً محارباً.

القاعدة الثانية: هي قاعدة (من سبق إلى ما لا يسبق إليه المسلم فهو أحق به) [٣٥] أي: إن المباحات التي جعلها الله تعالى للجميع من برّ وبحر وسهل وجبل وغابات ومراتع وما أشبه ذلك، إذا سبق أحد إلى شيء منها بنية الحيازة، كان هو أحق بها لملكيتها بالحيازة، فالإنسان مثلاً لو استخرج الملح من المعدن وحازه فهو له، وكذلك لو استخرج الأسماك من البحار والأنهار، أو اصطاد الطير من الهواء والحيوانات البرية من الصحراء وحازها كانت له، وهكذا لو اجتنى أو اقتطع من الغابات، أو أخذ القصب من الأجمات وحازها فهي له، إلى غير ذلك من حيازة المباحات الأولية التي خلقها الله للناس جميعاً.

هذا.. وقد رأيت أنا بنفسي اشتغال الناس بحيازة المباحات والارتزاق عن طريقها فقد كان في منطقة الرزازة القريبة من كربلاء المقدسة معدن الملح، فكان بعض الناس يذهبون إليها ويأتون بالملح منها إلى أبواب البيوت ويبيعونه على الناس بسعر زهيد، حتى إني أذكر أن الملح الذي كان يكفي لسد حاجاتنا منه كاملة ونحن عائلة مكوّنة من عشرة أشخاص كنا نشتريه منهم بعشرة فلوس، أي: بما يعادل عشرة أرغفة من الخبز من حيث القوة الشرائية.

ثم إنه لم يكن هذا خاصاً بمعدن الملح، بل كان حكم كل المعادن من جهة الحيازة للناس كذلك، فقد كان معدن النفط، أو القير، أو الذهب، أو الفضة، أو الفيروزج، أو الأحجار

---

[٣٣] وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٤١٤ ب٣ ح٣٢٢٤٥.

[٣٤] راجع مستدرك الوسائل: ج٣ ص١٤٩ من كتاب إحياء الموات ح٢ وفيه: (روي عن النبي صلى الله عليه وآله: موتان الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم مني أيها المسلمون).

[٣٥] مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح٢٠٩٠٥.

الكريمة الأخرى، أو الأحجار التي يصنع منها القدور والأواني، أو معدن النحاس، أو غيرها من سائر المعادن، يحوزها الناس بحرية كاملة ويتكسّبون ببيعها بلا أي مانع.

أما أخذ الإجازة من الدولة ودفع الضريبة، وألف شيء وشيء، فلم يكن منها أثر قبل نصف قرن، وإني أذكر كل ذلك.

وكذلك كان بناء الدار وإحداث المحلات التجارية وترميمها، فإن كل ذلك قبل نصف قرن تقريباً .كما شاهدته بنفسي . لم يكن يحتاج إلى الإجازة ولا إلى دفع ضرائب أو رسوم أو ما أشبه ذلك.

أما اليوم وبعد مرور نصف قرن على ذلك الزمان، فقد أصبح كل شيء بإجازة، حتى أن غرفةً خربت في دارنا فلم تسمح الحكومة ببنائها إلاّ بشرائط ورسوم وضرائب!.

أسباب الغلاء

ثم إن مما تغير بعد مرور نصف قرن تغيّراً فاحشاً هو: رخص الأسعار، فإنه قد تبدل إلى غلاء الأسعار غلاءً باهظاً أعجز الطبقة المتوسطة من الناس من ممارسة حياتهم بسهولة، فكيف بالطبقة الضعيفة؟ فقد زاد هذا الغلاء المصطنع عبر الحكومات الفاصلة بين طبقات الناس وأخل بعيشهم.

علماً بأن الغلاء إنما يحدث نتيجة أسباب تالية:

الأول: الضرائب التي تفرضها الحكومات المسيّرة على الناس . وهي غير الخمس والزكاة والجزية أو الخراج التي تدفع للحاكم الشرعي . فإن الضرائب التي أحدثتها الحكومات المسيّرة في العراق وغير العراق وفرضتها على كل شيء، فلم يكن منها في الإسلام عين ولا أثر.

الثاني: تضخم جهاز الدولة بكثرة الوزارات وزيادة الموظفين، فإنها مما تلتهم أموال الناس، وتحدّ من حرياتهم، فينتج الغلاء الفاحش، وذلك لأن كل موظف–طبعاً غير الموظف المعدود للقضاء وحفظ الأمن وفي حل المشاكل–يولد تقييداً للمراجعين، فتتقلص الحرية بسببه، إضافة إلى أنه يكون في أموره المالية عالة على الناس، ولذلك لم يكن عندنا في العراق قبل نصف قرن موظفون بكثرة، فإني أذكر أن في كربلاء المقدسة وكذلك في النجف الاشرف لم يكن سوى مركز واحد للشرطة، ودائرة للبلدية فقط، ولم يكن لإدارة البلدية موظفون أكثر من عشرة أشخاص، كما ولم يكن لمركز الشرطة أكثر من عشرين أو ثلاثين موظفاً، بين قاضٍ

وحاكم وشرطة.

وقد ذكر جرجي زيدان في كتابه[٣٦] وهو يتحدث عن بعض شؤون المسلمين إلى ما قبل نصف قرن قائلاً: إن كثرة مال الخلفاء كان بسبب قلة موظفي الدولة الإسلامية، على تفصيل ذكره.

الثالث: سرف الحكام وترف الحكومات على حساب الناس، فإن الحكام هم أمناء الناس على أموالهم، فإذا بذلوها في ترفهم، وصرفوها في ملاذهم وبذخهم افتقر الناس وأملقوا، وحُرموا حتى من توفير أوّليات حياتهم وضروريات عيشهم، وعاشوا أزمات السكن، وأضرار البطالة، وغلاء الأسعار كما نشاهده اليوم في بلادنا، فحزب البعث الحاكم في العراق . مع ظروف العراق الصعبة والقاسية . يعيش التخمة والبذخ ويبني ترسانته العسكرية وأسلحته الجرثومية، بينما الشعب العراقي المظلوم يئنّ تحت سياط الجوع والفقر والجهل والمرض، ولقد صدق إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول في نهج البلاغة: (ما رأيت نعمة موفورة إلاّ والى جانبها حق مضيّع).

الرابع: التسابق المسعور في التسلّح إنتاجاً أو اقتناءً، وكلفته الباهظة تثقل كواهل الشعوب المسكينة وترهق بنيتهم المالية وتوهن قدراتهم الاقتصادية، وذلك نظراً إلى غلاء وسائل الحرب المتطورة التي حدثت فعلاً، وقد كانت وسائل الحرب البدائية سابقاً من قبيل السيف والرمح والسهم والقوس والدرع وما أشبه ذلك رخيصة جداً.

أما في زماننا . يعني: قبل نصف قرن تقريباً . فقد تبدلت وسائل الحرب البسيطة من السيف إلى البندقية المعقدة أيضاً، ولكنها رغم كونها أغلى من السيف والرمح وأرفع قيمة منها، إلاّ أن غلاءها وارتفاع قيمتها كان بسيطاً جداً، حتى إذا حدثت هذه الوسائل الحربية المتطورة فسجلت الرقم القياسي للغلاء الفاحش، حجزت الحصة الكبيرة من الميزانية الباهظة والمرهقة للدول والحكومات المعاصرة، وقد رأيت في تقرير عسكري أن لبعض البلاد من الغواصات الذرية وغير الذرية ما تبلغ قيمتها مليارات من الدولارات، إلى غير ذلك..

الحكام قبل نصف قرن

---

(٣٦) تاريخ التمدن الإسلامي: ج٢ ص٣٢٤ – ٣٥٣.

نعم إن سرف الحكام وترفهم، وبذخهم وتجبّرهم، أفقر الشعب وأعدمهم وأغلى أسعارهم، بينما لم يكن الحكام في السابق كذلك، فقد ذهبت أنا وجماعة من العلماء في مهمّة دينية إلى دار رئيس الوزراء في العراق فرأينا له داراً عادية كما لمتوسطة الناس، ودخلنا غرفته التي كان هو فيها فرأيناها غرفة كبيرة عرضها متران وطولها ما يقارب العشرة أمتار وهي خالية من كل زينة وتجمّل، وليس فيها موبليات ولا فرش غالية الثمن، وإنما كان فراشها من البسط العادية، التي ينسجها الريفيون لمنازلهم وبيوتهم، وكان البساط في ذلك الوقت بالياً غير جديد وممزقاً غير منتظم.

كما ذهبت أنا مع الشيخ عبد الزهراء الكعبي (رحمه الله تعالى) في مهمة دينية أخرى إلى غرفة رئيس وزراء آخر، فكانت هي الأخرى غرفة صغيرةً لا تستوعب أكثر من عشرة أشخاص إذا جلسوا على الكراسي التي كانت هناك، وكانت الكراسي عادية، والغرفة متواضعة لا فرش فيها ولا أثاث، وكان هو متواضعاً أيضاً غاية التواضع.

وذهبت أيضاً مع جماعة من العلماء في مهمة دينية ثالثة إلى دار مندوب كربلاء المقدسة في مجلس الأمة ببغداد، فرأيناها داراً ضيقة فسألته عن أنه لماذا يسكن في هذه الدار المضيّقة؟

فأجاب قائلاً: إن هذه الدار ليست لي، وإنما هي دار مستأجرة ومرتبي من الدولة لا يكفي لاستئجار دار كبيرة أكبر من هذه الدار، ولا لشراء دار أوسع منها.

فقلت له: كم هو مقدار مساحة دارك؟

فقال: مائتا متر فقط.

من سرف الحكام المعاصرين

وهكذا كانت سابقاً بعض حياة الحكام في غاية البساطة والسذاجة، بعيدة عن الترف والبذخ والسرف والتجبر، بينما قد تحول الحكام في هذا اليوم، إلى طغاة متجبرين مسرفين ومبذرين، يبنون القصور ويشيدون البروج، ولم يكتفوا بالقصر والقصرين والعشرة والعشرين.

وإنما يقال عن صدام[٣٧] أنه بنى لنفسه مائة قصر كل قصر بملايين الدولارات وقيل بالمليارات، وقد أُشيع مؤخراً بأن صدام يبني لنفسه قصراً جديداً على أرض واسعة تبلغ مساحتها سبعين كيلو متراً[٣٨].

---

[٣٧] صدام حسين: من مواليد تكريت ١٩٣٧م، تسلم الحكم في العراق عام ١٩٨٠م بعد أن أطاح برفيقه أحمد حسن البكر.

[٣٨] وقد نشرت مجلة الشراع اللبنانية في العدد٩١٠ الصادر بتاريخ ٢٩ تشرين٢- نوفمبر - ١٩٩٩م في مقابلة صحفية مع (عدي ابن

ومن الواضح أنه إذا استبدّ الحكام بالأموال وبذلوها في أمثال هذه الأمور صار الناس فقراء معدمين وضعفاء مساكين، كما هو عليه شعبنا المسلم في العراق اليوم.

هذا، ويمكن تلخيص معنى (الحريات الإسلامية) فيما يلي:

إلغاء كل القيود والرسوم والموانع والحواجز الموضوعة في طريق السفر والحضر، والتجارة والصناعة، والعمارة والزراعة والكسب والإجارة وما إلى ذلك مما أباحه الله تعالى للناس.

صدام): بأن هناك تقارير صحفية نشرت في لبنان تحدثت عن أن الوضع في العراق ليس كما يصور، فبرغم الحصار تم تشييد ٤٨ قصراً جديداً وبنيت مدينة خاصة للموظفين الرسميين.. حين أن هناك أرقاماً تقول إن الحكومة العراقية تسلمت ١٤,٩ مليار دولار خلال السنتين والنصف الماضية – من خلال برنامج النفط مقابل الغذاء – وستحصل الحكومة على ستة مليارات دولار خلال الأشهر الستة الأخيرة من العام الحالي، ولكن جزءاً ضئيلاً من هذا المبلغ يصرف على الغذاء والدواء!!

(٥)

من أسباب العزة:

تطبيق أوامر السماء

ومن أسباب عزّة المسلمين، التي أسقطها حكامنا بأمر من أسيادهم هو: (العمل الصادق، والتطبيق الحرفي لأحكام القرآن وتعاليم الإسلام)، فإن الإسلام أهدى للبشرية أرقى قوانين التقدم، وأجمع مواد التمدن والتحضر، وأفضل مناهج السعادة والهناء.

ومن الملحوظ أنه من يوم ترك المسلمون أوامر السماء فاتتهم الأرض والسماء، بينما في اليوم الذي كان المسلمون قد أخذوا فيه بقوانين السماء أتتهم السماء والأرض بكل خيراتها وبركاتها.

نعم لقد تأخر المسلمون في كل أبعاد الحياة ـ وهم مليارات ـ على أثر تركهم تعاليم السماء المتجسدة في آيات القرآن الحكيم، وروايات الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ومن هؤلاء الحكام الذين تركوا تعاليم السماء هو: عبد السلام عارف[٣٩]، الذي كان ينادي بلزوم تحرير فلسطين وبإرجاعها إلى أصحابها المسلمين ولكن لا من طريق تعاليم السماء، بل حسب ما يمليه عليه الأسياد، ولذلك أرسل وفداً كبيراً من العسكريين وغيرهم

---

[٣٩] عبد السلام عارف (١٩٢١ ـ ١٩٦٦م) عسكري ورئيس دولة، ولد في بغداد في← ←وسط برجوازي لعائلة تنتسب لقبائل الجميلة من منطقة الرمادي، التحق بالأكاديمية العسكرية وبكلية الأركان، انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥٧م حيث عرف بتهوره وبصداقته وموالاته لزميله عبد الكريم قاسم – وكان أول من أطلق قول: ماكو زعيم إلا كريم –، لعب دوراً رئيسياً في تخطيط توقيت وقيادة تنفيذ الانقلاب العسكري في ١٤ تموز يوليو ١٩٥٨م ضد الحكم الملكي. وكان آنذاك ضابط ركن وقائد الكتيبة الثالثة من اللواء العشرين التابع للفرقة الثالثة والتي كانت في طريقها إلى الأردن، وبعد شهرين من نشوب خلاف بينه وبين صديقه عبد الكريم أدى تنحية عبد السلام عن مناصبه المتعددة والحكم عليه بالموت إلا أن قاسم لم يصدق على الحكم وأطلق سراحه عام ١٩٦١م، ثم عاد بانقلاب عسكري آخر إلى سدّة الحكم مرة ثانية عام ١٩٦٣م فأطاح بحكومة عبد الكريم قاسم، وقد اتسمت فترة حكومته بالطائفية والقومية والاستبداد ومصادرة أموال الناس باسم (التأميم) و(الاشتراكية) و...، حيث كان لها الأثر السيء على العراق شعباً وحكومة في مجالات مختلفة.

إلى فرنسا لشراء السلاح، وذهب الوفد والتقى في فرنسا بمسؤول وزارة الدفاع وأعطوه قائمة بالأسلحة التي يريدونها حتى يوفّرها لهم، وكان من تلك القائمة أسماء كثيرة من الأسلحة المتنوعة، لكن الذي ألفت نظر وكيل وزير الدفاع الفرنسي أنه رأى في جملة ما جاء في القائمة من أسماء المعدّات الحربية، اسم (الفتائل للقنابل).

فسأل رئيس الوفد العراقي عما يقصده من اسم الفتائل، وأنها ما هي؟

فأجابه رئيس الوفد العراقي قائلاً: إنها فتائل القنابل.

فعاد وكيل وزير الدفاع الفرنسي يكرّر سؤاله عن إن المراد بالفتائل ما هي؟

فقال له رئيس الوفد العراقي: إن المراد بها: فتائل القنابل العادية المتعارفة.

فتعجب وكيل وزير الدفاع الفرنسي تعجباً كبيراً من تصريح رئيس الوفد العراقي، وعرف أن العراق لا يتمكن من صنع حتى الفتائل البسيطة جداً، ولإظهار تعجبه وإعلان تضجّره التفت إليه بسخرية وقال: كيف تريدون محاربة الإسرائيليين وأنتم لا تملكون حتى الفتائل البسيطة، بينما إسرائيل تملك في الحال الحاضر ستمائة قسم من السلاح بما فيها القنبلة الذرية!

فخجل رئيس الوفد العراقي من ذلك خجلاً كبيراً ولم يتمكن أن يردّه.

أوامر السماء ونتائج التخلّف عنها

نعم؛ إسرائيل وإن لم يكونوا حسب المستوى الغربي من التقدم، لكنهم حيث طبقوا بزعمهم تعاليم السماء الذي في توراتهم، أصبحوا على قدر كبير من القوة على قلة عددهم.

بينما المسلمون حيث لم يطبقوا تعاليم السماء، وإنما تعاليم الشرق والغرب، أصبحوا على قدر كبير من الضعف، وتأخروا حتى عن مقابلة إسرائيل الصغيرة، مع كثرة عددهم البالغ مليارين.

ولم يكن هذا شأن العرب من المسلمين فحسب، بل هو شأن كل المسلمين قاطبة، وذلك لأنه يوم تركنا تعاليم السماء وأعرضنا عنها فاتتنا الأرض والسماء، ولا علاج لنا إلاّ بالرجوع إلى تعاليم السماء، فإنها وحدها الكفيلة بإسعاد الإنسان وإرغاد العيش وبلوغ مطامحه وآماله وحصول عزته وسؤدده في الدنيا والآخرة، دون غيرها، فقد قال سبحانه:﴿**ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ۞ وإنهم ليصدونهم عن**

السبيل﴾[٤٠].

وقال تعالى أيضاً: ﴿**وقيضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنهم كانوا خاسرين**﴾ [٤١].

---

[٤٠] سورة الزخرف: ٣٦ ـ ٣٧.

[٤١] سورة فصلت: ٢٥.

(٦)

من أسباب العزة:

الاقتداء بالرسول ﷺ

ومن أسباب عزة المسلمين . التي تعاونّا شعوباً وحكّاماً على إسقاطها . هو:(الاقتداء برسول الله ﷺ) قال تعالى:﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[٤٢] وأطلق القرآن الكريم جانب الأسوة ولم يقيده بشيء، مما يدل على أن الله تعالى جعل الرسول ﷺ قدوة لنا في كل شيء، وأسوة لنا في كل مجالات الحياة.

ومن يوم تركنا نحن المسلمين الاقتداء برسول الله ﷺ آل أمرنا إلى تقهقر مستمر وتأخّر متواصل في كل مجالات الحياة وجميع جوانبها وأبعادها.

بينما اقتدى الإسرائيليون . حسب زعمهم . بنبيهم داوود عليه السلام في حربهم مع العرب، فانتصروا مع قلة عددهم على العرب رغم كثرة عددهم، حتى عرفت تلك الواقعة في تاريخ العرب بـ(نكسة حزيران)[٤٣]!

وعندما سُئل الإسرائيليون عن كيفية انتصارهم؟

---

[٤٢] سورة الأحزاب: ٢١.

[٤٣] وقعت هذه الحرب في ٥ – ١٠/٦/١٩٦٧م والتي عرفت أيضاً بحرب الأيام الستة، حيث بدأت إسرائيل بهجوم جوي على القواعد الجوية المصرية، بحيث تمكنت هذه الضربة وما تلاها من ضربات جوية ضد القواعد الجوية العربية الأخرى المواجهة لها من القضاء على أسلحة الجو العربية وتحقيق السيطرة للطيران الإسرائيلي على أجواء المنطقة، الأمر الذي سهل اندفاع القوات البرية الإسرائيلية في معركة غير متكافئة..، ولقد تمكنت إسرائيل إثر هذه الحرب من السيطرة على شبه جزيرة سيناء والجولان والضفة الغربية وأصبحت مساحة الأراضي الخاضعة لسيطرتها ٨٩,٣٥٩ كلم٢ في حين كانت مساحة الأراضي المحتلة عشية حرب ١٩٦٧م لا تتجاوز ٢٠,٧٠٠ كلم٢، ولقد أدى هذا التوسع إلى تحسين وضع إسرائيل على الصعيد الجغرافي – الاستراتيجي و..، كما اعتبرت هذه الحرب في الجانب العربي نكسة رافقها العديد من مظاهر الردة في أنحاء البلاد العربية.
راجع موسوعة السياسة: ج٢ ص٢٠٧ – ٢٠٨ الحرب العربية – الإسرائيلية الثالثة (١٩٦٧).

أجاب وزير دفاعهم آنذاك قائلاً: إنا اقتدينا بنبيّنا داودﷺ في حربه تحت لواء طالوت مع جالوت، فإنه عندما اصطف الجيشان وبدءا في المصاولة، رأى داودﷺ إن مقاومة جيش جالوت إنما يكون بسبب مقاومة جالوت نفسه، فإذا استهدف داودﷺ جالوت وقتله انكسر جيشه وانهزم، ولذلك عزم داودﷺ على قتل جالوت، وكان جالوت في قلب معسكره ووسط جيشه، وقد أحدق به الأبطال والشجعان بحيث لا يتمكن أن يصل إليه أحد، ولكن يمكن لمن هو قوي الساعد وشديد البأس، دقيق الاستهداف، مصيب في إصابة النقطة المطلوبة، أن يستهدف ناصية جالوت التي كانت مزينة بدرّة كبيرة تتربع عليها، وكانت الدرة قد تدلّت من خوذته التي كانت على رأسه وقد نزلت على ناصيته وقاية لها وحفظاً وزينة وجمالاً، فاستهدف داودﷺ بضربة قوية ومحددة الدرة التي كانت تتربع على ناصيته، وكانت الضربة بمكانة من الدقة وبمثابة من الشدة والقوة بحيث لم تخطئ الهدف ولا قيد شعرة، وإنما وقعت وبكل سرعة وصلابة على الهدف، فكانت كالصاعقة هشّمت الدرّة وهشّمت رأسه معها، فخرّ جالوت ميتاً وانهزم جيشه، قال وزير دفاعهم: ونحن فعلنا كذلك، فإنا رأينا أن مقاومة العرب إنما تكون بمقاومة القوة الجوية والطائرات الحربية التي كان يمتلكها عبد الناصر، ورأينا أنا لو قضينا عليها في مهدها وهي رابضة في مخابئها فقد قضينا على العرب وهزمناهم، ولذلك قمنا وفي أول جولة من الحرب، بضرب القوة الجوية وقصفها، وبالقضاء عليها قضينا على عدونا وهزمناه.

وهكذا كان، فقد انهزم العرب وسمّوا تلك الهزيمة المؤلمة في تاريخهم بـ(نكسة حزيران).

الظفر والنجاح موكول باقتداء الأنبياء

نعم هذه سنّة الله تعالى في الحياة، فقد جعل الله تعالى لمن اقتدى بالأنبياءﷺ الظفر والنجاح، ولمن تخلّف عنهم الخيبة والخسران، فالإسرائيليون يقتدون بنبيّهم فيفوزون، ونحن المسلمين نترك الإقتداء بنبيناﷺ فنكون من الخاسرين، ونبيناﷺ أشرف الأنبياء وأفضلهم، وقد وصلتنا سيرته المباركة في كل مجالات الحياة الفردية والأسرية، والاجتماعية والدولية، والاقتصادية والسياسية، وغير ذلك، ولم تكن في مجال الحرب فقط كما هي عند الإسرائيليين، فإنهم لم تصلهم من سيرة أنبيائهم إلاّ القليل، ولا حتى في الحرب مثلاً، ومع ذلك يقتدون بسيرة نبيهمﷺ، بينما نحن المسلمين قد وصلنا من سيرة نبيناﷺ كل شيء وفي جميع

مجالات الحياة، ومع ذلك نترك الاقتداء بهﷺ فما يكون عذرنا عند الله؟

سيرته ﷺ بالنسبة إلى المرأة

أشرنا فيما مضى إلى بعض النماذج من سيرة رسول اللهﷺ في السياسة الإسلامية من إحداث الأمة الواحدة، وبناء الأخوّة الإسلامية، ومنح الحريات الإنسانية.

وأما بالنسبة إلى المرأة، فلقد أكرم رسول اللهﷺ المرأة وأعزّها، وأعطاها حقها، وبلّغها مقامها اللائق بها ولم يبخسها شيئاً، إنهﷺ عرف أنها ريحانه وليست قهرمانة، ففرض عليها الحجاب ليحفظها من الذبول ومن عاديات الأحداث، وعرف أنها كالثمرة في الشجرة إذا بلغت ونضجت أسرع إليها الفساد لو لم تُجن، وجنا المرأة عند بلوغها ونضجها هو الذهاب إلى بيت الزوج، فحبّذ لها . إلى جانب العلم والعمل بما يلائم شأنها . أن تكون ربّة بيت ومدبّرة شؤونه، لأن ذلك أرفق بها وأنعم لبالها وخاطرها، وأحفظ لكرامتها وعواطفها، وأسلم لأنوثتها وأحاسيسها.

وبدأ ﷺ في تطبيق ما أراده للمرأة، بابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراءعليها السلام، فإنه إلى جانب علمها وثقافتها، وعملها ومكابدتها، زوَّجها في سنّيها المبكرة من ابن عمّه أمير المؤمنينعليه السلام وذلك بمهر قليل وجهاز ضئيل، ومراسيم متواضعة، ليكونﷺ في ذلك قدوة لنا، نقتدي به في تزويج بناتنا في سنيهن المبكرة، وبمهر طفيف، وجهاز خفيف، ومراسيم متواضعة.

نعم، إنهﷺ زوَّج ابنته . وهي صدِّيقة، وأشرف من برأ الله تعالى من النساء، وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين . بمهر قدره . كما في الكافي الشريف[٤٤] . لا يتجاوز الثلاثين درهماً، وكذلك كان جهازهاعليها السلام وأثاثها التي اشتريت لها فإنها كانت لا يتعدى عن مقدار مهرها يعني ثلاثين درهماً فقط، وهذا يدل على تواضع جهازها وبساطة أثاثها، ولما اكتمل جهاز الزهراءعليها السلام ونظر إلى بساطته رسول اللهﷺ حيث كان جلّه من الخزف، اغرورقت عيناه بالدموع ودعا لها ولكل من كان جهازها كذلك بالبركة والسعادة.

ثم لما أراد أن ينزف ابنته لعليعليه السلام لم يكن لعليعليه السلام منزل، فسمع أحد المسلمين بذلك وكان له منزل زائد عن الحاجة، فقدمه لرسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله، أنا ومالي لله

---

[٤٤] الكافي: ج٥ ص٣٧٧ ح٢.

ورسوله، فجزاه رسول الله ﷺ خيراً، ثم سلّمه لعلي عليه السلام وكان منزلاً متواضعاً لم يؤثّث ولم يفرش أرضه بحجر ولا فرش، بل كانت أرضه غير مستوية فجاء علي عليه السلام بكمية من الرمل من خارج المدينة وسوّى به أرض البيت الذي فيه حتى يمكن نوم العروسين على أرضه، ثم نصب في المنزل عوداً يوضع عليه القربة، وستروه بكساء، كما ونصب خشبة من الحائط إلى الحائط للثياب، ثم حوّلت فاطمة عليها السلام إلى منزل علي عليه السلام ولها من العمر إذ ذاك تسع سنوات.

وهنا سؤال يطرح نفسه ليقول: هل زوَّجها رسول الله ﷺ في هذه السن المبكرة من عمرها لعدم تمكنه من إعاشتها؟ أو لأنه ـ والعياذ بالله ـ استثقلها فأراد إخراجها من منزله؟ أو لا هذا ولا ذاك، وإنما أراد ﷺ أن يعلِّم المسلمين كيف يبادرون في تزويج بناتهم، ويسرعون في إخراجهن في سنيهن المبكرة إلى الحياة الزوجية؟، وذلك تنبيهاً لما في هذا من صلاحهم وصلاحهنّ وصلاح المجتمع والأمة الإسلامية.

من تبعات ترك الاقتداء بالرسول ﷺ

لكن من يوم ترك المسلمون الاقتداء برسول الله ﷺ صبّت عليهم الويلات والمشكلات، وأصبحنا نرى اليوم ملايين البنات القابلات للزواج بقين في البيوت بلا زوج ولا زواج، مما أقلق الآباء والأمهات المصير المجهول لبناتهم، وقد قرأت في جريدة مصرية[٤٥] تقريراً بعنوان: (أربعة ملايين فتاة مصرية في طريق العنوسة) ثم كتبت تحت هذا العنوان:

(تعيش ملايين الأسر المصرية في حال قلق، بسبب تجاوز بناتهم سنّ الثلاثين، ما يعني: إن أحلام الزواج في طريقها للزوال، وكانت إحصاءات قدّرت أخيراً: إن هناك أكثر من ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف فتاة في مصر تجاوزن سن الثلاثين) وهذا التقرير هو بالنسبة للمتجاوزات سن الثلاثين.

وهناك تقارير أخرى تصرّح: بأن ما يقرب من خمسة عشر مليون شاب بين فتى وفتاة في مصر يعيشون سنّ الزواج وهم غير متزوجين.

كما أن هناك تقرير آخر عن بلد آخر يقول: بأن في ذلك البلد المسلم عشرة ملايين شاب بين فتاة وفتى وهم في سنّ الزواج وقد بقوا غير متزوجين.

والى غيرها من التقارير المتشابهة عن بقية البلاد الإسلامية والعربية..، هذا بالنسبة إلى

---

[٤٥] جريدة (الحياة) المصرية المؤرخة: ١٩٩٩/٧/٢٧ ميلادية.

العوانس، أي: اللاتي هن في سن الزواج ولم يتزوجن بعد.

وأما بالنسبة إلى المتزوجات، فقد كثر الطلاق فيهن كثرة موحشة، تهزّ الضمير الإنساني وتقلقه، حتى إني سمعت قبل أيام من إحدى الإذاعات تقريراً يقول: إن في السنة السابقة كان عدد الزواج سبعة وأربعين ألفاً، بينما عدد الطلاق بلغ فيها سبعة وثلاثين ألفاً، وهذه النسبة لعلها لم يسبق لها نظير في تاريخ المسلمين!.

أضف إلى ذلك، التبعات السيئة التي تلازم بقاء المرأة بدون زواج، أو تلازمها حين الطلاق، والتي من تلك التبعات: فقد المرأة مكانتها الواقعية التي أرادها الله تعالى لها، حتى أصبحنا نرى . ومع الأسف الشديد . التلاعب الكبير بشخصيتها، والهبوط بها إلى مستوى لعبة لعرض الأزياء، ودعاية لترغيب البضائع، وما أشبه ذلك، وهذا إسفاف بمقام المرأة، وكسر لشأنها وشخصيتها.

علماً بأنه لا يرجع إلى المرأة كرامتها ومكانتها، ولا يرجع الأمر إلى حالته الطبيعية إلا بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله واتباع تعاليمه الراقية، فقد قال صلى الله عليه وآله: (إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوِّجوه ﴿**إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾[٤٦]) [٤٧].

ومعنى (فزوّجوه): هو التساهل معه في أمر المهر، بأن يكون المهر قليلاً، وفي سن المرأة بأن تخرج إلى الزوج سريعاً وفي السنين المبكرة من بلوغها، وأن لا تكون الدراسة من النساء، ولا الجندية في الرجال، ولا التشريفات في الجهاز والأثاث مانعاً من أمر الزواج، وبالتالي: تذليل كل الصعوبات، وإزاحة كل العقبات من طريق الزواج، ليتيسّر لجميع الشباب الإقدام عليه بكل رغبة وسلامة.

وقد روى سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنه إذا كانت فتاة في الدار قابلة للزواج فلم يزوجوها وزنت كتب الله إثم زناها على الأب) [٤٨]، والمراد بـ(الأب) هو كل من كان عليه أن يسهل الأمر، أباً كان أم جداً، وأماً كانت أم جدّة، وشعباً كان أم دولة وحكومة، ولم يعتن بهذا المهم ولم يسهّل لها أمر زواجها وزواجهن.

---

[٤٦] سورة الأنفال: ٧٣.

[٤٧] الكافي: ج٥ ص٣٤٧ ح٢.

[٤٨] وسائل الشيعة: ج١٤ ب٦٢ ص٥٧٢ ح٧.

كلمة لابد منها

قال سبحانه وتعالى:﴿**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال**﴾ [٤٩] لقد جاء في تفسير هذه الآية في مجمع البيان عن ابن عباس أنه قال: (إذا أنعم الله على قوم فشكروها زادهم، وإذا كفروها سلبهم إياها)[٥٠].

وفي تفسير كنز الدقائق عن تفسير العياشي مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن أبي كان يقول: إن الله قضى قضاءً حتماً: لا ينعم على عبده بنعمة فسلبها إياه قبل أن يحدث العبد ذنباً يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة) [٥١].

وعن سليمان بن عبد الله قال: (كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام قاعداً، فأتي بامرأة قد صار وجهها قفاها، فوضع عليه السلام يده اليمنى في جبينها، ويده اليسرى من خلف ذلك، ثم عصر وجهها عن اليمين، ثم قال: ﴿**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**﴾ فرجع وجهها، ثم قال عليه السلام لها: احذري أن تفعلي كما فعلت! قالوا: يا بن رسول الله وما فعلت؟

فقال عليه السلام: ذلك مستور إلاّ أن تتكلم به، فسألوها، فقالت: كانت لي ضرّة فقمت أصلّي، فظننت أن زوجي معها، فالتفت إليها فرأيتها قاعدة، وليس هو معها، فرجع وجهي على ما كان)[٥٢].

وفي أصول الكافي مسنداً عن سدير قال: (سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿**فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم...**﴾ [٥٣] فقال عليه السلام: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا نعم الله عز وجل، وغيّروا ما بأنفسهم من عافية الله فغيّر الله ما بهم من نعمة، ﴿**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**﴾ فأرسل الله عليهم سيل العرم، فغرّق قراهم، وخرَّب ديارهم، وأذهب أموالهم، وأبدلهم مكان جناتهم﴿**جنّتين ذواتي أُكل خمط وأثل وشيء من سدرٍ**

---

[٤٩] سورة الرعد: ١١.

[٥٠] تفسير مجمع البيان: ج٦ ص٢٨١.

[٥١] تفسير العياشي: ج٢ ص٢٠٦ من سورة الرعد.

[٥٢] مستدرك الوسائل: ج٥ ص٤٠٨ ب٣ ح٦٢٠٥.

[٥٣] سورة سبأ: ١٩.

قليل﴾ ثم قال تعالى:﴿**ذلك جزيناهم بما كفروا، وهل نجازي إلاّ الكفور**﴾[٥٤]) [٥٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (إذا وصلت إليكم أطراف النعم، فلا تنفِّروا أقصاها بقلّة الشكر)[٥٦].

ويلات الكفر بنعم الله

نعم لقد أنعم الله تعالى علينا بالأمن والاستقرار والسيادة والسؤدد والتقدم والازدهار، وجعلنا سادة العالم وقادته في ظل الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله واتباع القرآن وتطبيق أحكام الإسلام، فغيّرنا ما بأنفسنا، وكفرنا بأنعم الله، وأعرضنا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، ونبذنا تعاليم الإسلام وأسباب عزتنا، فأذاقنا الله لباس الجوع والخوف، وغلاء الأسعار، وجور الحكام.

أما جور الحكام فحدّث ولا حرج، فهؤلاء حكام البلاد الإسلامية حكام مستبدون يحكمون البلاد ما دام العمر، ويتوارثونه بينهم، ولا يقولون بالتعددية ولا بحرية الفكر والقلم ولا الرأي والبيان، ويجرّون الويلات على الشعوب، ولا يفكرون إلاّ في ملاذهم ومصالحهم الشخصية وإن عانى الشعب المآسي والويلات.

وأما غلاء الأسعار، فقد أثقل كاهل الشعوب وأرهق عيشهم، فقد تضاعفت أسعار البضائع والأجور والخدمات أضعافاً مضاعفة وربما تتجاوز أحياناً الألف ضعف، ومن المعلوم أنه يؤدي إلى عدم تمكن الناس من تأمين حاجاتهم، وليس كما يدعيه البعض من أنه إذا ارتفعت الأسعار كثر النقد، وقد ناقشنا ذلك بإسهاب في (الفقه: الاقتصاد) وعندي على ذلك أمثلة كثيرة يطول علينا المقام بذكرها، ولذلك نعرض عن التعرض إليها.

وأما لباس الجوع والخوف، فقد عمّ كل البلاد والعباد، وظلل بجناحيه السوداوين الربع المسكون، فالمجاعة تهدد أرواح أبناء القارة السوداء . إفريقيا . وغيرها..، وسوء التغذية يهدد سلامة شعوب المنطقة، والخوف والقلق نغّص عيش الناس وأقضّ مضاجعهم، سواء الخوف والقلق من الوسائل التدميرية كالانفجارات التي تحدث كل يوم في مكان وأخيراً شملت روسيا وغيرها، أو من الكوارث الطبيعية كالزلازل وما أشبه، والتي قد ضربت تركيا أخيراً واليونان،

---

[٥٤] سورة سبأ: ١٦ . ١٧.

[٥٥] الكافي: ج٢ ص٢٧٤ ح٢٣.

[٥٦] وسائل الشيعة: ج١١ ص٥٥٢ ب١٥ ح٦.

وغيرهما من البلاد الإسلامية وغيرها.

القرآن يتوعَّد الكافرين بالنعم

هذا كله هو بعض ما أخبر به القرآن الكريم حيث يقول: ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾[٥٧].

علماً بأن تركيا هي من بلاد المسلمين ويسكنها المسلمون، قد قامت مؤخراً بعملين ينافيان الإسلام وتعاليمه الإنسانية:

أما العمل الأول: فهو أن المدعي العام ـ على ما قيل ـ طالب بإعدام ست وأربعين تلميذة من تلميذات المدارس التركية بجريمة الحجاب، وقال: إنهن يستحقن الإعدام لارتدائهنّ الحجاب الإسلامي حين الذهاب إلى المدرسة!.

والعمل الثاني: هو أن الحكومة التركية منعت من تعليم القرآن للأطفال الذين هم دون الثانية عشرة سنة من عمرهم وعدّت ذلك جرماً يؤاخذ به الآباء والمعلّمون ويعاقبون عليه!.

ثم إنه لم يمض على هذين الإجراءين المنافيين للإسلام إلاّ أسبوعين فقط حتى ضربهم هذا الزلزال الرهيب[٥٨]، فأودى بحياة الآلاف من الضحايا وهدم الآلاف من المباني، وكبّدهم خسائر مالية تعدّ بالمليارات، وملأ قلوبهم خوفاً وذعراً لا مثيل له، وذلك لعلهم يرجعون إلى الله ويتضرعون إليه كما قال تعالى: ﴿**فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرّعون**﴾ [٥٩].

وقد أخذ الله سبحانه وتعالى آل فرعون أخذ عزيز مقتدر بعد أن ابتلاهم بتسع آيات بيّنات ليرتدعوا عن غيّهم وكفرهم، فلما لم يرتدعوا وتوغّلوا في غيّهم، وأصرّوا على كفرهم، أغرقهم الله تعالى في اليمّ، وأورث ملكهم وأرضهم وديارهم ومساكنهم لبني إسرائيل، وقد نصب موسى عليه السلام حاكماً يمثّله في مصر بعد أن أنجاه الله وقومه من فرعون وقومه وعبر بهم البحر، وفي هذه القصة أحسن عبرة لمن اعتبر.

وهكذا في غيرها من قصص الأمم السابقة التي جاء ذكرها في القرآن الحكيم وفي

---

[٥٧] سورة النحل: ١١٢.

[٥٨] الإحصاءات غير الرسمية ذكرن ٣٥ ألف، والرسمية ١٨ ألف.

[٥٩] سورة الأنعام: ٤٢.

الروايات، وكذا في قصص الأمم المعاصرة التي رأينا جملة منها بأمّ أعيننا في زماننا القصير.

ثم إن داء تقلّص المعنويات وتوسّع الماديات وإن شمل كل العالم، لكن حصّة المسلمين منه أكبر وأكثر، وإن بلاء تأخر المسلمين من بين سائر الأمم في هذا العصر ـ عصر الذرة ـ أبشع وأفظع، فقد ذهب الغرب ـ وهم الغربيون الذين حصلوا على شيء من الموازين ـ ببعض التقدم، بينما أخذ الشرق والمسلمون في تقهقر مستمر لفقدهم كل الموازين، بلا فرق بين لغاتهم وبين بلادهم، وبين سائر خصوصياتهم، قال سبحانه:﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرّف الآيات لعلّهم يفقهون**﴾ [٦٠].

وقد أصابنا نحن المسلمين كل الذي توعدت الآية الكريمة به المتخلفين فهل من معتبر؟!.

---

[٦٠] سورة الأنعام: ٦٥.

فصل

الأشياء تُعرف بالأمثال والأضداد

هناك في المنطق والحكمة قاعدتان معروفتان وهما كالتالي:

١. قاعدة تقول: تعرف الأشياء بأضدادها.

٢. وقاعدة تقول: تعرف الأشياء بأمثالها.

وكلتا القاعدتين صحيحتان، فإذا أردنا أن نعرف مدى تخلفنا نحن المسلمين عن بقية الأمم، أو مدى تقدمنا عليهم، لزم أن نقارن بين حالنا وحالهم ومنجزاتنا ومنجزاتهم، أو بين أضدادها.

مثلاً: المسلمون اليوم هم أكبر أمم العالم من حيث النفوس، إذ ليس هناك أمة يبلغ عددهم ملياري نسمة سوانا نحن المسلمين، فلنقارن بين حالنا وحال المسيحيين الذين لا يتجاوز عددهم المليار مسيحي فقط، وذلك من حيث التبليغ الديني الإسلامي والحركة التنصيرية والتبشير المسيحي، علماً بأن أصول الإسلام وفروعه مطابقة للعقل والمنطق مائة بالمائة، بينما أصول المسيحية وفروعها متضادة مع العقل والمنطق مائة بالمائة، وذلك لأن في أصول دين المسيحيين إن الله في حال كونه ثلاثة ـ الأم والابن وروح القدس ـ هو واحد، وفي حال كونه واحداً هو ثلاثة، وهذا ما يسخر منه العقل ولا يستسيغه المنطق، فإنهم مع قلّة عددهم بالنسبة إلى عددنا، ومع وهن دينهم أمام قوة ديننا، نراهم قد تقدّموا علينا في مجال التبليغ الديني، فلحركتهم التنصيرية وتبشيرهم بالمسيحية من إمكانات ما لم يكن لنا نحن المسلمين حتى عُشر منه.

مثلاً: لهم من المنظمات التنصيرية في العالم ما يبلغ خمساً وعشرين ألف منظمة تبشيرية، إضافة إلى أكثر من عشرين ألف منظمة عمل لتقديم الخدمات والأمور الخيرية، كما يوجد

لهم ما يقرب من مائة ألف معهد تنصيري في العالم لنشر الثقافة المسيحية، وتنصير غير النصارى من المجتمعات البشرية، سواء كانوا مسلمين أو وثنيين أو بوذائيين أو كونفوشيوسيين أو غيرهم.

ففي جانب ترى المسيحية وفي جانب آخر كل العقائد والمبادئ والأديان.

هذا وقد بلغت تبرعات الكنائس الدولية لدعم الجمعيات المسيحية والمنظمات التابعة لها، وتنفيذ مخطط التبشير والتنصير العالمي: مبلغاً ضخماً قدره (مائة وخمسون مليار دولار) كما سجلوا..

التبشير في الشرق الأوسط

وكذلك يوجد لهم حوالي (ألف وثلاثمائة) مبشّر مسيحي متفرغ فقط في الشرق الأوسط، ومعظمهم يديرون مراكز طبّية[٦١] إلى جانب إدارة مراكز تعليمية، ومراكز إسعافية للفقراء والمحتاجين، أي: الأمور الثلاثة التي هي أهم الأشياء للإنسان: العلم، الطب، والفقر.

والمؤسسات التي تسهم في التنصير عبارة عن: النوادي الاجتماعية، مثل: الروتاري، والليونز التي يوجد منها ستة وأربعون نادياً في الوطن العربي[٦٢].

إندونيسيا ومؤسسات التبشير

ويوجد في إندونيسيا وهو بلد مسلم أكثر من (اثنتي عشرة ألف) كنيسة ومؤسسة تنصيرية يعمل فيها (ستة آلاف) قسّ، وأكثر من (عشرين ألف) منصِّر متفرّغ، إضافة إلى (مائة وعشرين) منظمة أمريكية، و(أربع وأربعين) منظمة أوروبية تقوم بأعمال التنصير، ويبلغ إنفاقها (مائة مليون) دولار سنوياً[٦٣].

كما وذكرت صحيفة كويتية: (إن الجمعيات وكذلك لجان المؤسسات التبشيرية وهكذا جماعات المنظمات التنصيرية قد جمعت من التبرعات في العام الماضي . وهو عام ١٩٩٨ ميلادي . مبلغاً قدره (مائتان وثلاثة عشر مليون) دولار لأغراض كنيسية تبشيرية). وذكرت أيضاً: (إن عدد المنصِّرين المتفرغين (خمسة ملايين وثلاثمائة وخمسة وعشرين ألف) منصّر

---

[٦١] مجلة الدعوة: سنة ١٤١٣هـ.

[٦٢] مجلة الدعوة: سنة ١٤١٣هـ.

[٦٣] مجلة الإصلاح: العدد ١٧٥، سنة ١٩٩٣م.

متفرّغ) [٦٤].

من منجزات المبشِّرين

كما ترجم المسيحيون كتابهم الإنجيل إلى أكثر من (ألف) لغة، بينما قام المسلمون بترجمة كتابهم القرآن الحكيم إلى ما يربو على أربعمائة لغة فقط، علماً بأن كتاب المسيحيين محرّف ولا يتوافق أكثره مع العقل والمنطق بل ولا مع العلم أيضاً، بينما كتابنا هو الكتاب الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾[٦٥] وإنه متطابق مائة بالمائة مع العقل والمنطق، ومع العلم والفكر السليم، وإنه معجزة الإسلام الخالدة.

ثم إن عدد الأناجيل التي تم توزيعها في العام ١٩٩٨م بلغ أكثر من (ملياري) نسخة، وذلك على ما جاء في جريدة الرأي العام الكويتية[٦٦].

كما وبلغ عدد الكتب التي ألّفت لأغراض التنصير (اثنين وعشرين ألف) عنوان كتاب، مضافاً إلى ما يقومون به من إصدار (ألفين ومائتين وسبعين) مجلّة منصِّرة ونشرة تنصيرية، ويجري توظيف (مائة وتسعين) محطة إذاعة وتلفزيون لخدمة المسيحية[٦٧] .

وجاء في الجريدة السابقة إن محطات الإذاعة والتلفزيون الموجّهة إلى كل العالم وبمختلف اللغات والألسنة من قبل المؤسسات المسيحية بلغت (ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعين) محطة[٦٨].. إلى غير ذلك مما يجدها المتتبع في الجرائد والمجلات.

ثم إنه بعد هذا التحرك الدائب والعمل المستمر من المسيحيين ألا يحق لهم أن يتقدموا التقدم الكبير مع أنهم مليار مسيحي فقط؟ وألا يحق لنا بعد الكسل الدائم والتقاعس المتواصل في العمل أن نتخلف هذا التخلف الرهيب حتى ولو كان عددنا ملياري مسلم؟ إن ذلك من سنة الله في الكون، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

---

[٦٤] جريدة الرأي العام: العدد ١١٦٤٨.

[٦٥] سورة فصلت: ٤٢.

[٦٦] جريدة الرأي العام: العدد ١١٦٤٨ ن: ١٣/٥/١٩٩٩.

[٦٧] مجلة الدعوة (السعودية): ن ١٨/٩/١٤١٣.

[٦٨] جريدة الرأي العام: العدد ١١٦٤٨.

خاتمة

التغيير والعودة إلى أسباب العزة

نعم لو غيّرنا أنفسنا ورجعنا إلى أسباب عزتنا، غيّر الله تعالى ما بنا وأعاد علينا عزّنا وسؤددنا، وذلك لا يكون إلاّ بثلاثة أمور:

الأمر الأول: شورى المرجعية

وذلك بأن يكون المراجع كلهم وبصورة شورى، هم الذين يحكمون الأمة الإسلامية وبلاد الإسلام لأنهم هم وحدهم بعد الأئمة المعصومين عليهم السلام الحكام الشرعيين، وغيرهم لا شرعية له بحسب القرآن الكريم والروايات الشريفة.

الأمر الثاني: الأحزاب الحرّة

ليكون بينهم التنافس على البناء والتقدم، وعلى الخير والإصلاح، كما قال تعالى:﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السماوات والأرض أعدّت للمتقين**﴾[٦٩]، لا الأحزاب المسيّرة التي بنت أمرها على الهدم والشر، وعلى ضرب الدين والمراجع وتفريق الصف.

الأمر الثالث: تطبيق أسباب العزة

والتي منها: توحيد بلاد الإسلام، وإلغاء الحدود الجغرافية المبتدعة والحواجز النفسية المخترعة، وذلك كما توحدت في السابق بلاد الهند، وبلاد الصين، وتوحّدت في هذه الأيام بلاد أوروبا ذات السبعمائة مليون نسمة، إضافة إلى أنهم قد اتحدوا في الخطوط العريضة العامة مع أمريكا ذات الثلاثمائة مليون نسمة، فأصبحوا بذلك مجموعة ضخمة تناهز المليار إنسان وتتربع على منصة التقدم العلمي الحديث، وسياسة العالم المعاصر، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

(فانظروا كيف كانوا؟ حيث كانت الأملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟ فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين

---

[٦٩] سورة آل عمران: ١٣٣.

وقعت الفرقة، وتشتّت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعّبوا مختلفين، وتفرّقوا متحاربين (متحازبين)، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين)[٧٠].

❁❁❁

سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ. ق

الفهرس

تمهيد ٥

المقدمة **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

١:الوعي.. أول أسباب العزّة ١

٢: من أسباب العزة: الأخوّة الإسلامية ١٥

٣:من أسباب العزّة: الأمة الإسلامية الواحدة ٢٠

٤: من أسباب العزّة: الحريات الإسلامية ٢٧

٥: من أسباب العزة: تطبيق أوامر السماء ٣٥

٦: من أسباب العزة: الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله ٣٨

فصل: الأشياء تُعرف بالأمثال والأضداد٤٧

الخاتمة: التغيير والعودة إلى أسباب العزة ٥٠

[٧٠] نهج البلاغة: الخطبة رقم١٩٢، تسمى بالقاصعة.